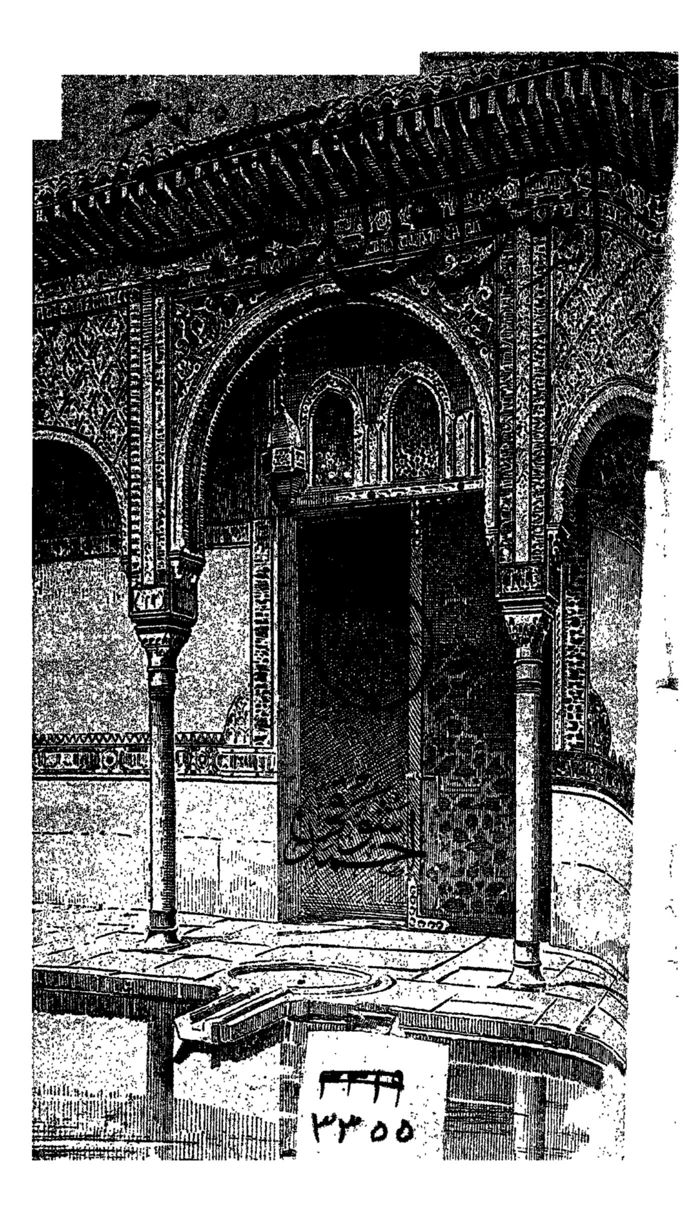


أسواق الذهب



أحمد شوقي

مطبعة الهلال

مصر سنة ١٩٣٢

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

الحمدُ لله الذي علّم بالقلم ، وألهمَ نوابغ الكلم ، وجعل الأمثالَ والحِكَم ، أحسنَ أدبِ الأمَم . وصلى اللهُ وسلّم على محمدٍ ديمة البيان المنسَجِمة [1] ، وعلى موسى الكليم وعيسى الكلمة [2]

وبعدُ . فهذه فصولٌ من النثر . ما زعمتُ أنها غُرَرُ زياد [3] ، أو فِقرُ الفصيح من إياد [4] ، أو سجعُ المطوّقةِ على فرعٍ غصنِها الميّاد [5] ، ولا توهمتُ حين أنشأتُها أني صنعتُ (أطواقَ الذهب) ، للزّمخشريّ ، [6] أو طبعتُ (أطباقَ الذهب) ، للاصفهانيّ ، وإن

---

(١) الديمة مطر يدوم في سكون بلا رعد ولا برق والمنسجم السائل المنصب (٢) الكليم لقب موسى لأنه كلم الله والكلمة لقب عيسى عليهما السلام (٣) زياد بن ابيه من أشهر خطباء الدولة الأموية (٤) هو قس ابن ساعدة الايادي ويكاد يكون أخطب خطباء الجاهلية والفقر جمع فِقرة وهي من النثر بمنزلة البيت من الشعر (٥) المياد الكثير الميد والميد الميل والتحرك (٦) أطواق الذهب وأطباق الذهب كتابان من كتب المقامات في الوعظ والارشاد وكلاهما في عليا مراتب البلاغة . الاول لجار الله الزمخشري والثاني للعلامة الأصفهاني عليهما رحمة الله

سميتُ هذا الكتاب بما يُشبهُ اسميهما ، ووسمتهُ[١] بما يقربُ في الحسن من وسْميَهْما ، وإنما هي كلماتٌ اشتملَتْ على معانٍ شتّى الصُّوَرِ ، وأغراضٍ مختلفةِ الخبر ، جليلةِ الخَطَر ؛ منها ما طال عليه القِدَم ، وشاب على تناوُلِه القلم ، وأَلَمَّ به الغُفْلُ[٢] من الكُتّابِ والعَلَم[٣] . ومنها ما كثُرَ على الألسنة في هذه الأيام ، وأصبح يعرِضُ في طُرُق الأقلام ، وتجري به الألفاظُ في أعِنَّةِ[٤] الكلام ؛ من مثل : الحريةِ ، والوطن ، والأمة ، والدستور ، والانسانيـة ، وكثيرٍ غير ذلك من شئون المجتمعَ وأحوالهِ ، وصفاتِ الانسانِ وأفعالهِ ، أو ما له علاقة بأشياء الزمن ورجالهِ ؛ يكتنِفُ ذلك أو يمتزجُ به حكمٌ عن الايام تلقيتُها ، ومن التجاريب استمليتُها ، وفي قوالب العربيةِ وعيتها[٥] ، وعلى أساليبها حبَّرتُها ووشيتُها[٦] وبعضُ هذه الخواطر قد نبَعَ من القلب وهو عند استِجْمام عفْوِه[٧] وطَلَعَ في الذهن وهو عند تمام صحْوِه وصفْوِه ؛ وغيرُهُ ـ ولعله الأكثر ـ قد قيل والأكدارُ سارية ، والأقدار بالمكاره جارية ، والدار نائية ، وحكومة السيف

---

(١) وسَمَ الشيء جعل فيه أثراً والوسم الأثر والعلامة (٢) الغفل المجهول (٣) العلم المقدم (٤) أعنة جمع عنان (٥) وعى حفظ (٦) حبر الكلام ووشاه حسنه وزينه (٧) استجم الماء استجماماً كثر واجتمع . والعفو من الماء ما فضل عن الشاربة واخذ من غير كلفة ولا مزاحمة

عابثة عاتية ، فانا استقيل القارئ فيه السَّقَطَات ، وأَستوهِبُه [١] التجاوُزَ عن الفَرَطَات [٢]

اللهمَّ غيرَ وجهكَ ما ابتغَيْت ، وسوى النفعِ لخلقكَ ما نويت ، وعليكَ رجائي ألقيت . وإليك بذُلّي وضَعْفي انتهيت

•

(١) استوهبه سأله الهبة (٢) الفرطات جمع فرْطة وهي ما فرط من الشخص من تقصير

الحقيقةُ الواحِدَة [1]

يا مُتابِعَ المَلاحدة : مُبايِعَ العُصْبةِ الجاحدة ،منكرَ الحقيقة الواحدة : ما للأعمى والمرآة ، وما لِلمُقْعَد [2] والمِرْقاة [3] ، وما لكَ والبحثَ عن الله ؟

قُمْ إلى السماء تَقَصَّ [4] النظر . وقُصَّ الأَثَر [5] . واجمع الخُبْرَ والخَبَر [6] . كيف ترى ائتلافَ الفلَك ، واختلافَ النور والحَلَك [7] ، وهذا الهواء المشترك ، وكيف ترى الطيرَ تحسَبه تُرِك ، وهو في شَرَك [8] ، استهدَفَ فما نجا حتى هلَك [9] ، تعالى الله دَلَّ المُلْكُ على المَلِك : . وقف بالأرضِ سلْها من زَمَّ [10] السحابَ وأجراها ،

(١) الحقيقة الواحدة وجود الله سبحانه وتعالى . ولعل المؤلف يشير الى قول لبيد « ألا كل شيء ما خلا الله باطل » (٢) المقعد الذي يشكو القعاد وهو داء يقعد المصاب به عن المشي (٣) المرقاة السلم (٤) أرسله الى أقصاه (٥) قص الأثر اقتفاه (٦) الخُبْر الاختبار بالمشاهدة والخبر الرواية بالسماع (٧) الحلك الظلام (٨) تظنه حراً طليقاً وهو أينما حلّ في متناول قبضة الصياد (٩) استهدف أصبح غرض السهام . والمراد انه لا يكاد ينجو من سهم مصوب اليه حتى يدركه الموت من سهم آخر (١٠) زم الناقة خطمها

ورَحَلَ [١] الرياحَ وعَرّاها [٢] ، ومن أقعـد الجبـالَ وأنهضَ ذُراها [٣] ، ومن الذي يُحلُّ حُباها [٤] ، فتخِرُّ له في غدٍ جِباها : أليس الذي بدأها غَبرَاتٍ [٥] ، ثم جمعها صخرات ، ثم فرّقها مُشمَخِرّات [٦] ؟ . ثم سَلِ النملَ مَنْ أدقّها خَلْقاً [٧] ، ومَلأها خُلُقاً [٨] ، وسلكها طُرُقاً [٩] ، تبتغي رزقا ؟ وسلِ النحلَ مَنْ ألْبسَها الحِبَر [١٠] ، وقلّدها [١١] الابَرَ ، وأطْعمَها صفوَ الزّهر ، وسخّرَها طاهيةً [١٢] للبشر ؟ لقد نبذتَ الذّلولَ [١٣] المُسْعِفَةَ [١٤] ، وأخذتَ في معامي [١٥] الفَلْسَفَة ، على عَشواء من الضلالِ مُعْسِفَة [١٦] . أوْلاَ فَخبّرْني : الطبيعةُ

---

(١) رحل البعير شد على ظهره الرحل تمهيداً للمسير (٢) عراها جردها مما فيها من أمطار (٣) أقعد الجبال ثبت قواعدها في الارض . وأنهض ذراها أي رفع عاليها شامخة في السماء (٤) يحل حباها أي يفكها من حبوتها وينهضها من ربضتها (٥) غبرات جمع غبره (بتسكين البـاء) وهي ذرة الغبار (٦) فرقها في الارض ومشمخرات أي باذخات (٧) أدقها صيرها دقيقة (٨) خلق النمل تلك النظم المتسـقة التي يوحي لهـا بها الالهام (٩) سلكها طرقاً جعل لها طرقاً تسلكها (١٠) الحبر جمع حبرة كعنبة وهي برود يمنية ملونة وقد شبه بها المؤلف تلك الالوان الزاهية التي يتخايل بها النحل تحت أشعة الشمس (١١) قلده السيف وضع حمالتـه في عنقه (١٢) طاهية طابخة تطبخ للناس في بطونها عسلا (١٣) الذلول من الدواب ما كانت سهلة القياد والمراد بها هنا الشريعة السمحة (١٤) المسعفة التي تسعف ابناءها باليقين والايمان (١٥) المعامي المجاهل (١٦) العشواء العمياء واعسف خبط في السير

مَنْ طبعَها[١]، والنظمُ[٢] المتقادمةُ مَنْ وضعَها، والحياةُ الصانعةُ مَنْ صنعَها، والحركةُ الدافعةُ مَنْ الذي دفعَها؟! عرفْنا كما عرفتَ المادّة، ولكنْ هُدينا وضلّلْتَ الجادّة[٣]، وقلنا مثلَكَ بالهيولَى[٤]، ولكنْ لمْ نجحدِ اليدَ الطولَى[٥]، ولا أنكرْنا الحقيقةَ الأولى[٦]. أتينا العناصرَ مِنْ عنصُرِها[٧]، وردَدْنا الجواهرَ إلى جوهرِها[٨]؛ اطَّرَحنا[٩] فاسترَحْنا، وسأمْنا فسَلِمْنا، وآمنَّا فأَمِنَّا؛ وما الفرقُ بينَنا وبينَك إلا أنكَ قد عجَزْتَ فقلتَ: سرٌّ مِنَ الأسرار. وعجَزْنا نحن فقلنا: اللهُ وراءَ كلِّ ستار!!

---

(١) طبعها خلقها وهنا يبدأ المؤلف في تعجيز الملحدين (٢) النظم المتقادمة والحياة الصانعة والقوة الدافعة وكل هذه قوى يظن الملحدون كفراً انها هي الاصل في الكائنات (٣) الجادة الطريق القويم (٤) الهيولي مادة وشبه الاوائل طينة العالم بها (٥) اليد الطولى يد الله التي ابدعت هذه الطينة ونفخت فيها الروح (٦) الحقيقة الاولى وجود الله (٧) العناصر جمع عنصر وهو اولاً بمعنى المادة البسيطة وثانياً بمعنى الاصل وأتيناها أي بحثنا فيها (٨) الجواهر جمع جوهر وهو الحجر يستخرج منه شيء ينتفع به والجوهر ثانياً بمعنى الاصل والجبلة (٩) اطرح الحمل ألقاه عن عاتقه والمقصود من هذه الجملة وما بعدها آمنا بالله وتركنا ما دون هذا من التفكير العقيم الذي لا نهاية له والبحث الضال الذي لا يؤمن فيه العثار . . .

الوَطَنْ

« حبُّ الوطن والتفاني في سبيلهِ سجية كل نفس كبيرة . وقد اوحت هـذه العاطفة باعظم ما حفظه لنا التاريخ من المآثر وجليل الاعمال وأبلغ ما جادت به القرائح من روائع الآيات والاقوال

ولقد طالما أشاد « المؤلف » في شعره بذكر الوطن وتغـنى بوصف آثاره الخالدة بقصائد تضمن لها بلاغتها من الخلود ما لتلك الآثار . ولطالما استخلص من بيانهِ سحراً أحيا مفاخر الآباء والاجداد فبعثها من لحود الاجيال الغابرة تتمثل عظمتها وروعتها للابناء والاحفاد

لم يقف « المؤلف » من آثار وطنه وقوف العرب على الطلول يبكيها ويرثيها بل مسحها بدموع قلبه ليُحييها ويستوحيها . فجعل من تغنيه بما كان من المفاخر للوطن في الغابر من الزمن حُداءً منه للخلف لاحتذاء آثار السلف

ولو جمع جامعٌ ما قال المؤلف في مفاخر الوطن من يوم قال منـذ ثلاثين سنة :

وبنينا فلم نُخلِّ لبانٍ وعلونا فلم يَجُزنا علاءُ

لاجتمع لديه خير سفر شامل للدروس الوطنية

وهذه القطعة من الشعر المنثور انشودة عذبة للوطن جمع فيها كاتبها جميع الانغام التي يثيرها ضرب الوطنية الصادقة على أوتار القلوب كما سنبينه في ما نعلقه عليها من الحواشي » :

الوطنُ موضع الميلاد ، ومجمعُ أوطارِ الفؤاد ، ومضجعُ الآباء

والاجْداد ،[1] الدنيا الصغرى ، وعتبةُ الدار الاخرى ، الموروثُ الوارث ، الزائلُ عن حارثٍ الى حارث ، مؤسسٌ لبانٍ ، وغارس لجانٍ ، وحيٌّ من فانٍ ، دَوالَيْكَ حتى يُكسفَ القَمران ، وتَسكُنَ هذي الارض من دوران

أول هواءٍ حرّكَ المِرْوحتين[2] ، وأول تراب مسّ الراحتين ، وشعاعِ شمسٍ اغترق العين ، مَجرى الصِّبا وملعبُه ، وعُرسُ الشباب وموكِبُه . ومَرادُ الرزقِ ومَطْلَبُه ، وسماءُ النبوغِ وكوكبُه ، وطريقُ المجد ومركَبُه ، أبو الآباءِ مُدَّتْ له الحياةُ فخلَد ، وقضى الله ألاّ يبقى

---

(١) جاء في مقدمة الجزء الاول من الشوقيات : « انها (مصر) بلادي ، وهي منشأي ومهادي ، ومقبرة أجدادي ، وُلد لي بها أبوان ، ولي في ثراها أب وجدّان ، وببعض هذا تحبب الى الرجال الاوطان » والوطر الحاجة والغرض — والحارث الزارع ودواليك أي مداولة بعد مداولة

تناول الكاتب في هاتين الفقرتين وصف الوطن عن طرق التحديد وهو كما حدّده ابن سينا في رسائله : الحدّ الجامع المانع ، اي الوصف المحيط بمعنى المعرّف المميز له عن غيره . فوصف الوطن بالمؤسس للباني ، والغارس للجاني ! وبمجرى الصبا وملعبه ، وعرس الشباب وموكبه . . . الى غير ذلك من الاوصاف : كما وصفه بموضع الميلاد . ومضجع الآباء والاجداد ، وأول هواء حرّك المروحتين . وأول تراب مس الراحتين ، الى غير ذلك من الاوصاف المانعة المميزة له عن سواه . وهكذا جاء بخواص المعرّف واوصافه وأعراضه التي من شأنها ان تبين حقيقتهُ

(٢) المروحتان الرئتان . والراحتان الكفان . واغترق العين أي شغلها عن النظر الى غيره

له ولد ، فان فاتك منه فائت فاذهب كما ذهب أبو العلاء عن ذكر لا يفوت . وحديثٍ لا يموت

مدرسة الحقّ والواجب ، يقضي العمرَ فيها الطالب ، ويقضي وشيء منهما عنه غائب ، حقُّ الله وما أقدسَه وأقدمَه ، وحقُّ الوالدينِ وما أعْظمَه ، وحقُّ النفس وما ألزَمه ، الى أخ تُنصفُه ، أو جار تسعفُه ، أو رفيقٍ في رِحال الحياة تتألَّفُه ، أو فضل للرجال تُزَيِّنه ، ولا تزيِّفه (١) ؛ فما فوق ذلك من مصالح الوطن المقدَّمة ، وأعباء أماناتهِ المعظَّمة ، صيانةُ بنائهِ ، والضَّنانةُ بأشيائهِ ، والنَّصيحةُ لأَبنائه ، والموتُ دونَ لوائهِ ، قيود في الحياة بلا عَدد . يكسرُها الموتُ وهو قيدُ الأَبد

رأسُ مالِ الامم فيهِ من كلِّ تِبرٍ كريم ، وأثرٍ ضئيلٍ أو عظيم ، ومُدَّخرٍ حديثٍ أو قديم ، ينمو على الدِّرهم كما ينمو على الدِّينار ، ويَربو على الرَّذاذِ كما يَرْبو على الوابِل المِدرار ، بحرٌ يتقبَّلُ من السُّحُب ويتقبلُ من الأَنهار . فيا خادمَ الوطن ماذا أعدَدْتَ للبناء من حجَر ،

---

(١) زيّف الرجلَ صغّر به وحقّر . الضنانة بالشيء . كالضن به ، البخل والحرص عليه

تناول الكاتب في هذه الفقرة حقوق الوطن على أبنائه أو واجبات الوطنيين نحو وطنهم ففصلها أجمل تفصيل دون ان يفوته وصف كل حق بوصفه الملازم من حق الله وحق الوالدين وحق النفس الى حق الاخوان وسائر ابناء الوطن . مجموعة حقوق يتألف منها حق الوطن على كل انسان ولو أدى القيام بهذا الحق الى التضحية بالنفس دفاعاً عن الوطن . ثمَّ قال ان هذه الواجبات ينبغي للانسان القيام بها في جميع أدوار الحياة فلا ينعتق منها الا بالممات

أو زِدْتَ في الغَنَاء من شَجر ؟ عليك أن تبلُغَ الجُهد ، وليس عليك أن تَبنيَ السد . فانما الوطن كالبُنيانِ فقيرٌ الى الرأسِ العاقل ، والساعدِ العامل ، والى العتَبِ الوضيعة ، والسقوفِ الرَّفيعة ، وكالروضِ محتاجٌ الى رخيصِ الشَّجر وثمينهِ ، ونَجيبِ النباتِ وهجينهِ ، اذ كان ائتلافُه في اختلافِ رياحينه ، فكلٌّ ما كان منها لطيفاً مَوقِعُه ، غير نابٍ به موضعهُ ، فهو من نوابغِ الزَّهرِ قريب ، وإن لم يكنْ في البديعِ ولا الغريب[1]

حظيرةُ[2] الأَعراضِ والعُروضِ ، ومحرابُ السُّنَنِ والفُروض ،

---

(١) الرذاذ المطر الضعيف والمال القليل . والوابل المدرار المطر الشديد الضخم القطر . والنجيب الكريم الحسيب من الانسان والحيوان . والهجين من ابوه خيرٌ من امهِ . وناب أي نافر

يريد ان كل انسان مهما ارتفع شأنه أو اتضع مكانه قادر على خدمة الوطن بل هو مطالب بتلك الخدمة . فعمد موفقاً الى التشبيه والاستعارة فقال ان البناء محتاج الى العتب الوضيعة والسقوف العالية وان الروض لا يتم بهاؤه وجماله الا بمختلف الازاهير والرياحين

وقد انتقل من الاخبار الى الخطاب فقال : فيا خادم الوطن ماذا اعددت ... وهو التفات بليغ

(٢) الحظيرة في الاصل مأوى الابل والغنم والأعراض جمع عَرض وهو المتاع والعروض جمع عِرض وهو الشرف . البَوغاء ما يثور من الغبار ودقاق التراب والضنائن جمع ضنينة وهو ما يُضَنّ به . والحجال جمع حَجَلَة وهي سِتر العروس داخل بيتها

يُفند الكاتب مزاعم أصحاب مذهب اللاوطنية القائلين بان الارض جميعها

سيدُ الاديم ، صفحاته التاريخ الكريم ، وبوغاؤه عِظَمُ الأُبُوَّةِ وانه لعظيم . وعلى جوانبه الدولةُ وهي حَسَبُ الأُمَمِ الصميم ؛ وثَمَّ كرائمُ الاموالِ والانفسِ وهي غوال ؛ وثم ثمراتُ الرِّجال ؛ وضنائنهم اللاتي خَلْفَ الحِجال . فيا عجبا كيفَ يَجْحَدُ الاوطانَ الجاحد ، أو يزعمُ أن الارضَ كلَّها وطنٌ واحد ؛ قضيةٌ تُضحِكُ النملَ في قُراها ؛ والنحلَ في خلاياها ، وتَستَبهِمُ على الطَّيرِ في أوكارها ؛ وعلى السِّباعِ في أجْحارِها ؛ وينبِّئك عنها السَّمكُ إذ اتخذَ من البحرِ وطناً شائعا ؛ فوُلِدَ مهدوراً وعاشَ ضائعا ؛ صِغارُه طرائد ؛ وكِبارُه موائد ؛ ويَتصيَّدُ بعضُه بعضاً إن أبطأ الصَّائد

والوطنُ شركةٌ[1] بينَ الاولِ والآخر ، وبين الحاضرِ والغابرِ لا يرِثُّ لها عقْد ، وإن تطاول العهد ، مؤسَّسةٌ بالمهد حيناً وباللَّحد ؛ يُدخِلُكَ فيها الميلاد ، ولا يُخْرِجُكَ منها النفاد ، فقد تُضْرِمُ النارَ وأنتَ هامدٌ كالرَّماد ، وقد تَحْيا بك الدِّيارُ وأنتَ بوادٍ والحياةُ بواد ،

وطن للناس جميعا . وضرب السمك في البحر مثلا لضرر الشيوعية في الوطن قرى النمل وخلايا النحل واوكار الطير وأحجار السباع أماكنها ومنازلها

(١) كنى عن ارتباط حاضر الوطن بماضيه بشركة معقودة بين السلف والخلف . يرث يبلى . ويريد باضرامك النار وانت هامد كالرماد وباحيائك الديار بعد خروجك من الحياة ان الاموات كثيراً ما يكونون بمثل حياتهم العالي اكبر حامل للاحياء على حميد الفعال . وبهذا المعنى قال أحد فلاسفة الفرنجة : يتألف الوطن من الاموات اكثر مما يتألف من الاحياء

والوطنُ مستودَعُ المفاخر ، وصِوانُ المآثر ، وخزانَةُ الأعلاقِ والذخائر ، لكلِّ متقنٍ منها موقِعه ، ولا ينبو بصالحٍ فيها موضِعُه ، الهرمان لديها معظَّمان ، (وشيخُ البلد) شيخ الصناعةِ على الزمان ، وعندها سيفُ (عليّ) ومغارِسُه ، وقناةُ (إسماعيلَ) ومدارسُه ، وفيها القصائدُ البارودِيَّة ، وليس فيها الخطب النَّديميَّة ، تلك لقُرْبها من كلامِ الحكمة ، وهذي لبُعدِها عن الاتقان والحِشمة . فيا لكِ خِزانةً تُميِّزُ الصِّحاح من الزيوف ، وتعرفُ الضَّيفَنَ من الضيوف . وتحجُبُ العِصِيَّ وتأذَنُ للسُّيوف (١)

صحيفةُ الاخبار ، وكِتابُ الابْرار ، وسِجِلُّ الهمَمِ الكِبار ؛ أسماءُ المحسنين فيه مَرْفوعة ، وأفعالُهم مَثَلٌ للخَلَفِ منصوبة ، وحروفٌ بماءِ الذهبِ مكْتوبَة . فاذا أتت السنون ، ودارت على الرِّجالِ المَنون ، ولِحقَتْ بالمُشايعِ الشِّيَع ، وذهب المتبوعُ والتَّبَع ،

---

(١) صوان الشيء وعاؤه . واعلاق الاشياء نفاسها . والزيوف الدراهم المغشوشة . والضيفن من يجيء مع الضيف متطفلا

والمراد أن الوطن يحفظ مآثر الرجال . وقد ضرب ما تراه في المتن من الأمثال عما يحفظه الوطن المصري للمصريين ثم انتقل في الفقرة التالية من التخصيص الى التعميم . شيخ البلد آية من آيات فن النحت عند قدماء المصريين يجده الناظر في دار الآثار وسيف علي . وقناة اسماعيل قناة السويس . البارودية نسبة الى محمود سامي باشا البارودي . والنديمية نسبة الى عبد الله نديم

ونامت الحَرَابِيُّ (١) عن الشموس ، وحيل بين النـارِ وبينَ المَجوس ، انفتح كتابُ الوطن من نفسهِ واذا الحسناتُ ثَمَّ على الصدق مُحْصاة ، فلا الحصاةُ دُرَّةٌ ولا الدُّرَّةُ حصاة ، وإذا الرجالُ يعظَّمون على الأَفْعال ، وإذا الوقائعُ قد نُحِتَ منهـا الأَبطال ، على قدر العمل يأتي الجزاء . وبقَدر جمال الأَثر يكونُ حسنُ الثناء

وليس أحَدٌ أَوْلى بالوطن مِنْ أحَد ، فما (باستورُ) (٢) والشفاءُ في مَصْلِه ، ولا (كمالُ) والحياةُ في نَصْلِه ، أولى بأصل الوطن وفصلِه ، من الأَجير المحسن الى عِيالِه . الكَسِبِ على أطفالِهِ ، الفـادي الوطنَ بأشبالِهِ ، وهم رأسُ ماله . فلا تَتَحَمَّدْ (٣) على الأَوطان بآثار كرم ، وان حَمَلْتَ عليها الحَرَم ، أو نَقَلْتَ اليها إرم ، فانك لم تَزِدْ على أن أقمت جدارَك ، وحسَّنْتَ دارَك ، ولا تنسَ أنهـا الآلةُ التي رفعتك ،

---

(١) الحرابي جمع حرباء حيوان معروف يستقبل الشمس ويدور معها كيفما دارت ويتلوّن ألواناً

(٢) « باستور » عالم كيماوي فرنسي (١٨٢٢ـ١٨٩٥) صاحب مباحث نظرية الميكروبات في الامراض المعدية ومخترع المصل الواقي والشافي وهو من اكبر الرجال الذين خدموا الانسانية بعلمهم . « وكمال » هو الغازي مصطفى كمال باشا أسد انقره وبطل تركيا المشهور . القذى ما يقع في العين ويوجعها السرح شجر . وقد ابدع في تشبيه من يمن على الوطن بخدمته بالشجرة التي ترتفع عن الارض وتتعاظم عليها وهي انما تمص منها مادة الحياة

(٣) تتحمد تمتن . وتحمد عليه بالشيء امتن به و غائلة الدهر شره . وصرف الدهر حدثانه

والهالةُ التي أُطلعتك ، ولا تحجبْ ذاتَ الوطن بذاتك ، أو تطرف العيونَ عن وجهه بقذاتك ، ولا تكنْ كالسَّرح العظيم إذ نسي خلقه إذ علا على الأرض وهي أمه ، ماؤها عُصارةُ عوده ، وطينُها جرثومةُ وجوده ، حتى اذا ترعرَعَ وكَبر أخفاها وظهَر ، وحجبَ عنها الشمسَ والقمر ، خلعَتْ عليه ما نَضَرَ ورَفّ . وألقى عليها ما يَبِس من الورق وحفّ

والوطنُ لا يتمُّ تمامُه . ولا يَخلُصُ لأهله زمامُه ، ولا يكونُ الدارَ المستقِرَّة ، ولا الضَيْعَةَ الخالصةَ الغَلَّة ، ولا يقالُ له البلدُ السيد المالك ، وإن تحلّى بألقابَ الدُّول والممالك ، حتى يُجيل العلمُ فيه يدَ العِمارة . ويجمع له بينَ دُولاب الصِّناعةِ وسوق التِّجارة(١)

فيا جيل المستقبل ، وقبيلَ الغد المؤمَّل ، حاربوا الأُمِّيةَ فانها كَسَحُ الأُمم وسَرَطانُها ، والثغرةُ التي تُؤتَى منها أوطانُها ، ظُلماتٌ يَعرْبِدُ فيها خُفَّاشُ الاستبداد ، وقبورٌ كلُّ ما فيها لِضَبُعِه غنيمةٌ

(١) رف النبات اهتز . والكسح داء في اليدين والرجلين يثقلها عن الحركة . والدولاب الآلة

وقد انتقل الكاتب من الوصف والتحديد البياني الى ذكر الدعائم التي تبنى عليها عظمة الوطن ويشاد عليها صرح استقلاله وهي العلم والتجارة والصناعة وحذّر بنوع خاص من انصاف الجهال أو انصاف المتعلمين كما حذّر من الجهل . وبمناسبة ذكر باستور في الفقرة السابقة نذكر ان هذا الرجل العظيم كان يقول « قليل من العلم يبعد عن الله وكثير من العلم يعيد الى الله »

وزاد . وتَذرَّعوا (١) بذرائع العلم الصَّحيح ، اطْلبُوه في مَدارس الزمان وحلَقاته ، وخذوهُ عن جهابذَتهِ وثِقاتهِ ، واعلموا أنَ أنصافَ الجُهَّال لا الجهلَ دفعوا ، ولا بقليل العلم انتفعوا ، وبنو الوطن الواحدِ إخوةٌ وإن ذَهبَ كلٌّ فريقٍ بكتاب ، ووصلَتْ كلٌّ طائفةٍ من باب ، واتَّبَعَ أُناسٌ الانجيل ، وأُناسٌ اتَّبعوا التَّنزيل . وكلٌّ بلادٍ تسوسُها حكومةٌ فاضِلة ، وتُقيِّدُها القوانينُ العادِلة ، وتَعمُرُها جماعةٌ عاقِلةٌ عامِلة . انما يُفرَّقُ فيها بين الوطن الذي هو الحياةُ وشئُونُها ، والدُّنيا وشُجونُها ، والحكومة نظمُها وقانونها ، والمملْكة سُهولها وحُزونهـا ، والدَّولة أطرافها وحُصونها ، وبينَ الدِّين الذي هو السَّماءُ الرفيعة ، والذِّرْوَة المنيعة ، ولاية الضمائر . وسياسَة السرائر (٢)

وما وطنُ المحسنينَ الا الأُسْرة الـكبرى ، والسقفُ الواحد ، والمنزلُ الحاشد ، القومُ في ظلالهِ ، على البرِّ وخلالهِ ، اخوانٌ مُتصافون ، وأهلٌ مُتَناصفون ، وجيرانٌ مُتآلفون ، قَصدٌ في البَغضاء ،

---

(١) تذرعوا . اي توسلوا

(٢) الاّ يكون الدين داعية تفرقة في الوطن ولله در المؤلف حيث يقول شعراً كما يقول هنا نثراً :

الدين لله من شاء الاله هدى لـكل نفس هدى في الدين يعنيها

التنزيل القرآن . الحزن من الارض ما غلظ

وبُعدٌ عن الشَّحْناء، ألسنةٌ عفيفة العَذَبات(١) ، وصدورٌ نظيفة الجَنَبات ، تراهم كالنَّحْل ان سُولِمَتْ عَمِلَتْ العَسَل ، أو حوربَتْ أعْمَلَتْ الأَسَل ، فاطْبَع اللّهمَّ كنانتَك على هـذا الغِرار ، وأعدْها كما بدأْتَها مَحِلة الأَبرار . واجعل أبناءَنا أحراراً ولا تجعلْهم أنصافَ أحرار

ربَّنا وأنزلْهُمْ على أحكام العقول وقضايا الاخلاق ، ولا تُخلهمْ من العواطِف ، وإن كنَّ عواصِف . ولا تَـكِلْهُمْ للأهواء ، فإنها هواء . وخُذْهمْ بروحِ العصرِ وسُنَّةِ الزمان ، واجعلْهُم حَفَظَةَ العرْش وحَرَسَةَ البرلمان(٢)

---

(١) العذبات الاطراف . والاسل الرماح . وهنـا بمعنى الابر . الغرار المثال الذي تضرب عليه النصال

(٢) ونعم ما ختم به من الدعوة الى الوئام والتصافي حتى تعود الـكنانة الى سابق مجدها . ولم يكن يسعه ان يختم نشيد الوطن هذا دون النقر على وتر الاخلاق وهو الذي طالما دعا الى الاخلاق بل هو القائل ذلك البيت المشهور الذي لا نعرف بيتاً كان اكثر منه موضوع استشهاد للـكتاب والادباء في ربع القرن الماضي :

وانما الأمم الأخلاق ما بقيت   فان همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

الجُنْدي المجهُول

« تكريم الجندي المجهول : فكرةٌ أوحت بها الرغبةُ في تمجيد البطولة الصامتة ، البطولة التي تعمل في الخفاء . ولعلّ هذه الفكرة أجمل ما ولّدته الحربُ الكبرى من الافكار

مَن هو الجنديّ المجهول ؟ وما هي حكايتهُ ؟

اسمع تلك الحكاية ففيها عبرةٌ وذكرى :

أودت الحرب العالمية الاخيرة بآلاف الالاف من الجنود البُسّل وكل منهم يدافع عن قومه وبلاده فسجلت اسماؤهم على ألواح البرونز وقطع المرمر تخليداً لذكرهم . ولكن هناك من بينهم مئات الألوف ماتوا كذلك ميتة الابطال ولكن اسماءهم ضاعت لأن جثثهم الممزّقة اختلطت بجثث رفاقهم فلم يكن من سبيل الى تبين شخصهم أو تحقيق هويتهم . لذلك أرادت فرنسا — وحذت سائر الدول حذوها — أن تتخير واحداً من هؤلاءِ الابطال المجهولين ترفعه الى ذروة المجد وتقيم له من معالم التكريم ما لم تُقمه لاكبر الغزاة الفاتحين فتُكرم في شخصهِ المجهول مئات الالوف من الابطال الذين تنكّرت جثثهم على الناس

هذا منشأُ تلك الفكرة النبيلة . فاسمع الآن كيف كان تنفيذها في فرنسا :

كانت موقعة « ڤردان » أعظم موقعةٍ دارت رحاها بين أعظم جيشين في العالم ، دامت شهوراً طوالاً وسالت فيها مهج مئت الألوف على شظايا القنابل وظبي السيوف حتى أصبحت ارجاؤها جبانة مترامية الأطراف

ومن القتلى الراقدين في ثراها تقرر اختيار الجندي المجهول فأخذوا من أنحاء ذلك الميدان العظيم ثماني جثث لم تعرف لمن هي . اختاروا ثمانيةً من بين خمسمائة الف قتيل ووضعت كل جثة في نعش ونقلت النعوش الثمانية في ليل ١٠ نوفمبر سنة ١٩٢٠ الى حصن « فو » حيث أوقدت حولها الشموع وقامت الجنود تحرسها . ثمَّ تقدم القائد وأشار الى أحد جنود الفرقة ١٣٢ فخرج الجندي من الصف ودفع اليه القائد باقةً من زهر القرنفل الابيض والاحمر وقال له أن يدور دورتين حول النعوش الثمانية فيلقي بالباقة على نعش منها . ففعل وما كاد يلقي زهرات القرنفل على أحد النعوش حتى عزفت الموسيقى بنشيد المرسلييز ورفع الضباط سيوفهم للتحية . ومن تلك الدقيقة أصبح الراقد في ذلك النعش مثال التضحية والتفاني وصار تكريمه تكريماً للمليون ونصف المليون من الجنود الذين قتلوا في الحرب دفاعاً عن فرنسا وطنهم

ثمَّ نقل ليلاً الى باريس وفي اليوم التالي أقيم له احتفال ندر أن شهدت تلك العاصمة العظيمة ما يضارعه فخامةً وأبهةً وتأثيراً في النفوس . مشى في موكبه الوزراء والقواد ورجال الدولة وعشرات الألوف من الناس تتقدمهم ٨٠٠ راية من رايات فرق الجيش المختلفة حتى وصلوا به الى « قوس النصر » حيث قام ضريحهُ . وعلى أثر ذلك أصبح الآباء والامهات والأزواج والأخوات يحجون الى هذا الضريح وكل يعتقد ان فيه ابناً أو زوجاً أو أخاً . وما زار باريس ملكٌ أو وزير أو كبير الاَّ عدَّ من أول فروض المجاملة زيارة قبر الجندي المجهول وتحيته ووضع الزهر عليه

وما كان للمؤلف ان يترك مثل هذا الموضوع بلا جولة لخياله فيه وقد أراد ايضاً ان يضع زهرة من زهر أدبه الرائع على ضريح الجندي المجهول فكتب هذا الفصل : »

ذلك الغُفْلُ في الرِّمم ، صار ناراً على علَم ، جمعَ ضحايا الأُمم ،

كما جمعَ الكتابة القلم ، أو الكتيبةَ العلَم[1]

تِمثالٌ من انكار الذّات ، والفناء في بَقاء الجَماعات ، وصورةٌ من التّضحيةِ المبرّأة من الآفات ، المنزّهةِ عن انتظار المكافاةِ ، وهيكل على الواجب من عِظامٍ أو رُفات ، تَقرأُ على صفحاتهِ العَجَبَ العاجب ، تَفْسير الجلالين من موتٍ وواجِب . وتَتنقّلُ من آيةٍ الى آية ، وترى كيف جرَى الايثارُ للغاية . وكيف سالتِ النفوس على جنبات الرّاية

ولا يعلمُ الاّ الله لِمَن الجيفَة المحظوظة ، أو تلكَ البقايا المصونَة المحفوظة ، ألِرعْدِيد ، أم لِصندِيد ؟ ولبطلٍ مَشُوق ، أم لمُكْرَهٍ مَسُوق ؟ ولِشيطانٍ استعماريّ ، أم هي لِربّيّ حواريّ ؟ ولِمَغْمور من سواد الجُند ؟ أم لمأثورٍ من بيضِ الهند ؟ وهل كانتْ لِبْدَةَ أُسامة ، أم كانت جِلدَةَ النَعامة ؟ وهل هي هيكل المتنبي أم وعاء أبي دُلامه[2]

---

(١) الغفل : ما لا علامة ولا سمة فيه وهو ايضاً الشاعر المجهول أو الكتاب الذي لم يسمّ واضعه. الرمة جمعها رمم ورمام العظام البالية أي ان هذه الجثة المجهولة بين الجثث قد أصبحت عنوان الشهرة ورمز التضحية كما فصل ذلك في الفقرة التالية

(٢) المحظوظة من حظّ كان ذا حظٍ . والرعديد الجبان الكثير الارتعاد . والصنديد السيد الشجاع . المغمور المجهول الخامل النسب وغمره القوم علوه شرفاً. والربى واحد الربيين وهم الجماعة من الناس. والحواري ناصر الانبياء . واسامة الاسد وهو مضرب المثل في الشجاعة كما ان النعامة مضربه في الجبن . أي ان الله وحده يعرف لمن هذه الجثة التي كان لها كل هذا الحظ في التكريم أهي جثة رجل كريم عظيم أم جثة واحدٍ من سواد الناس

وكيف تعرفُ جثة نكرتها الايام ، وسارت الأرض فيها سنتها في الرمام ، الى أن وقعت عليها يدٌ في الرجام ، كما تقعُ على النصيب الرابح يد الغُلام ، فخرجت بها من غمرة الرمم ، وحُفرة الأمم ، وبؤرة العدم (١)

واذا هي تنفصل عن سواد الهامدين ، وتتصل بالأفراد الخالدين ، تَهجرُ مغموراتِ الكفور ، وتعمرُ مشهوراتِ القبور ، وبين ذلك جنازةٌ للعصر حولها ضجّة ، وللأرض تحتها رجّة ، مواكبُها ملء اليبَس واللُّجّة ، أعلامٌ منكوسة ، وقناً صُمٌ ، وكتائب خرْس ، وأنغامٌ محزونة ، ودموعٌ مذروفة ، وملوكٌ أو رُسلُ ملوك ، وبرقٌ يروح ويغدو في السلوك ، وينعي الزاجليّة والألوك ، فهل شيّعت نابليون ، أو ولنجتون ، وهل بلّغت هوجو البانثيون ، سوّى الحظُّ بين هؤلاء ، وبين ذلك النّكرةِ في الاشلاء ، وأجزل للقَيط الموتى من العطاء ، كما يجزل أحياناً للقطاء (٢)

---

(١) الرمام جمع رمة كما تقدم . والرجام جمع رَجم القبر . والغمرة المزدحم أي ان الحظ أصابه حين اختاروه من بين الالوف من الجثث كما تقدم في وصف الحفلة التي أقيمت لاختيار الجندي المجهول

(٢) ملء اليبس واللجة أي تسير براً وبحراً . الكتيبة الخرساء الفرقة من الجند لا يسمع لها صوت لوقار أهلها في الحرب . البرق الذي يغدو ويروح في السلوك هو الرسائل التلغرافية. الزاجلية الحمام الزاجل حمام الرسل . الالوك والالوكة الرسالة . وهذا وصف المواكب التي أشرنا اليها يوم نقل رفات الجندي

إسأل العصر فيم نبش القبور ، وقلّب الهامدين البور ، من أجل هذا الشلو المتبور ، حتى التقطه بيد الحظ الوهوب ، أو يد السيّارة المباركة على ابن يعقوب ، (يجبك) : أليس كلُّ من شهد النفير العام فهو ذائد الوطن وحاميه ، وكل من وجد في الحفير الجامع فهو مشتريه بمهجته وفاديه ، مجهول بذل المجهود ، وجاد بالنفس وذلك أقصى الجود ، في موطنٍ سوّى بين القائد والمقود ، والسائد والمسود ، توحّدت النار وتشابه الوقود ، وما حَمَل أعباء الجهاد مثل الميْت ، كالاساس دُفن فكان قوام البيت

كلُّ حيٍّ يموت ، وكل ذخيرة تفوت ، وكلُّ راحلٍ عن قومه وان وحدهم بالامس شتّى فألَف ، أو نكراتٍ فعرّف ، وخلّف فيهم من فضل ما خلّف ، لا يسلم على الموت من حاسد يزوّر في الصحيفة ، أو حاقدٍ يتشفّى بالجيفة ، فيا لكِ مُضْغَةً تقرض الكفن الجديد ، وتسبق

المجهول الى قوس النصر. نابوليون بطل فرنسا الكبير وأشهر القوّاد العسكريين. ولنجتون من مشهوري قواد الانجليز اكتسب شهرة بعيدة بانتصاره على نابوليون في موقعة واترلو. فيكتور هوجو هو أشهر شعراء فرنسا في القرن التاسع عشر. البانثيون اسم هيكل اقيم في روما القديمة لتكريم « جميع الآلهة » والبانثيون المعنى به هنا هو الصرح العظيم المشيّد في باريس الذي يضم رفات مشهوري الرجال . والاشلاء جمع شلو وهي الاعضاء بعد البلى

الدود الى الصديد ، الاَّ هـذا الجنديَّ المجهول فقد خلت جنازته من الهامس والهامز ، والغامط والغامز ، فقل لمن لم يعرفه الناس : طوبى لك ، ما أنعم بالك ، وما أنقى كفنك وسربالك[1]

قبرٌ بين (حنيةِ النصر) ، و بِنْيةِ النَسر ، وفوق طريق العصر ، لو كان لعيسى ضريحٌ ، لقلتُ قبر المسيح ، كلُّ جريحٍ اليه يستريح ، يقف به المحزون المتهالك يقول « هذا كلّه قبرُ مالك » ، وكأَنَّ كلَّ أختٍ حوله الخنساء ، وتحت ذلك الحجر صخر ؛ وكلَّ أمٍ ذات النطاقين أسماء ، وعبدُ اللهِ في ذلك القبر[2] دروسٌ عاليةٌ تُلقى على الشباب تعلّمهم كيف جعل آباؤهم حمايةَ الغاب ، فوق تفاني الاحزاب ، وفتنة الاسماء والأَلقاب ، حتى قَرُب تقديسُ الوطن الكريم ، من عبادة العليّ العظيم ،

---

(١) أي كل ميت عمّ فضله لا يخلو من حاسد أو حاقد يعمل على انتقاص قدره الاّ هذا الجندي المجهول فقد كان بمأمن من الغمز والهمز

(٢) حنية النصر او قوس النصر هو أفخم بناء من نوعه قام في وسط ميدان من ميادين باريس يتشعب منه اثنا عشر شارعاً . وقد أمر ببناء هذا الصرح نابوليون الملقب بالنسر ولهذا سماه المؤلف بنية النسر . وكان ذلك في فبراير سنة ١٨٠٦ ولم يتم فتحه الا في يوليو سـنة ١٨٣٦ . وعلو هذا البناء ٥٠ متراً بعرض ٤٥ متراً وسمك ٢٢ متراً . وهو مزين بابهى النقوش وأجمل الرموز وقد حفرت عليها أسماء مشهوري القواد والمواقع الكبيرة . وذات النطاقين أسماء بنت أبي بكر الصديق وقصة عبد الله بن الزبير حينما نصحته أمه اسماء بالمضي في الحرب بعـد ان خذله أنصاره وخاف من ان يمثل به الاعداء معروفة

وحى تقربوا الى الأوطان ، بالذَّبْحِ المنكر ، كما ذُكِرَ اسم الله على القرْبان ، واسم القربان لم يُذكَر

والمجدُ أبعدُ أسفار الرجال ، وله أزْوَادٌ وله رحال[1] . جِهادٌ طويل ، وصبرٌ جميل ، وعقَباتٌ بكلِّ سبيل ، والجنديُّ المجهولُ ما سار من لحدٍ الى لحد ، حتى رَقِيَ أسوارَ المجد ، ودخلَ مملكةَ الخُلد ، وكان الطريقُ نقياً من الشَّوكِ وكلُّه ورْد ، ذهبَ رَحِمَهُ الله لا عن ولد يرمينا بجنادل أبيهِ ، ولا أخٍ يسحبُ علينا أكفانَ أخيه ، وكفانا تجنِّيَ الشيِّعَة ، وادلال الصنَّيعة ، وكلَّ حِرباءَ يتسلَّقُ الناسَ شجراً الى الشمس ، يعبدها على مناكِبهم من المهدِ الى الرمس

---

(١) الازواد جمع زاد . والرحال جمع رحل وهو مركب البعير او ما تحمله في سفرك من متاع

قناة السّويْسْ

« كتب المؤلف هذه القطعة بمناسبة اجتيازه قناة السويس في طريقه الى الاندلس التي اتخذها محل اقامة له إبان الحرب . وهي درس جميل بليغ في تاريخ مصر منذ أقدم العصور نسج فيها نثراً على المنوال الذي نسج عليه شعراً في قصيدته الهمزية المشهورة التي قدمها الى المؤتمر الشرقي الدولي الذي عقد في مدينة جنيفا في سبتمبر سنة ١٨٩٤ . ولئن أشار فيها اكثر من مرة الى اسماعيل فلأن فتح هذه القناة تمّ على عهد ذلك الامير العظيم بعد تذليل صعاب كثيرة . وكان افتتاحها في ١٧ نوفمبر سنة ١٨٦٩ م = ١٢٨٦ هـ . وقد دعا الخديو اسماعيل الى هذا الافتتاح جميع ملوك أوربة وألوفاً من الامراء والسفراء وأقطاب السياسة وحملة الاقلام وأرباب الفنون والصنائع والتجارة حتى ضاقت بهم القصور فنصب لهم في الصحراء ألف سرادق وأنزل الامبراطورة اوجيني (عقيلة الامبراطور نابوليون النالث) وسائر الملوك وأمراء الاسرات الملكية في قصر منيف شاده خصيصاً لهم . وفي ١٦ نوفمبر أقيمت حفلة دينيـة اشترك فيها مشايخ الاسلام وأساقفة النصارى وكهنة اليهود . وفي الصباح التالي ابتدأ الاحتفال باطلاق المدافع ثمّ تقدم يخت الامبراطورة أوجيني في القناة وتبعه يخت فرنسوى جوزيف امبراطور النمسة ويخت فردريك غليوم امير بروسية فيخوت سائر الملوك والامراء فالسفن المقلة للمدعوين والمتفرجين وعددها ٦٨ سفينة . ولما بلغ اليخت الامبراطوري بحيرة التمساح حيّته ثلاثة مراكب حربيـة مصرية باطلاق المدافع فجاوبتها مدافع البر وعزفت الموسيقى وهتفت الجماهير المحتشدة على الشاطئ من القبائل

والاقوام المختلفي الجنسيات . وكان الخديو اسماعيل قد جمعهم في الاسماعيلية من كل انحاء مصر والصحراء والسودان ومعهم نساؤهم واولادهم ونوقهم ومواشيهم وغزلانهم . فكان منظر تلك الألوف من بدو وحضر ودراويش ومغاربة وسودانيين الخ بأزيائهم وألوانهم المختلفة مشهداً فريداً في بابه قلما أُتيح للعين ان تقع على مثله . وفي ١٩ خرجت السفن من بحيرة التمساح الى البحيرات المرة . وفي اليوم التالي بلغت البحر الاحمر قبيل الظهر بعد ان اجتازت القنال . ومن ذلك العهد فتحت هذه الطريق للمراكب» :

تلكما يا ابنيّ القناة ، لقومِكما فيها حياة ، ذكرى اسماعيلَ ورِيَّاه ،
وعُليا مفاخر دنياه ، دولة الشرق المرَجَّاة ، وسلطانُه الواسعُ الجاه ،
طريقُ التجارة ، والوسيلة والمنارة ، ومَشْرَعُ الحضارة [1]

تَعبُرانِها اليومَ على مُزجاة ، كأنها فُلكُ النجاة ؛ خرجتْ بنا بين طوفان الحوادث ، وطُغيان الكوارث ، تفارق برًّا مغتصبُه مُضَريُّ الغضبة ، قد أخذ الأُهبَة . واستجمَعَ كالأسد للوثبة . وتُلاقي بحراً جنَتْ جواريه ، ونزتْ بالشَّرِّ نوازيه ، وتمثَّلتْ بكل سبيلٍ عواديه ، مملوءاً ببغَتات الماء . مترعاً بفُجاءاتِ السماء ؛ من نونٍ ينسفُ الدَّوارع ، أو طيرٍ يقذفُ البيضَ مصارع [2]

---

(١) ذكرى اسماعيل : راجع ما ذكرناه في التوطئة . المشرع المورد

(٢) المزجاة السفينة من أزجى الفلك ساقه وأجراه . ونزت وثبت . طوفان الحوادث وطغيان الكوارث يكنى بها عن ويلات الحرب الكبرى . الغضبة المضرية نسبة الى مضر بن نزار أبو القبيلة المعروفة باسمه . الجوارى

فقلت : سيري عوّذْتُكِ بوديعة التابوت ، وبصاحِب الحوت ، وبالحيِّ الذي لا يموت ، وأسْري يا ابنةَ اليمِّ زمامُكِ الرُّوح ، وربّانكِ نوح . فكَم عليكِ من منكوبٍ ومجروح [1]

ان للنفي لرَوعة ، وان للنّأْي للَوعة ، وقد جرتْ أحكامُ القضاء ، بأن نَعبُرَ هذا الماء ، حينَ الشرُّ مُضْطرم ، واليأسُ محتدِم ، والعدوُّ منتقِم ، والخصْمُ مُحتكِم ، وحينَ الشامتُ جذلان مبتسِم ، يهزأُ بالدمع وان لم ينْسَجِمْ ، نفانا حكّامٌ عُجْم ، أعوان العدوان والظُّلم ، خلّفناهم يفرحون بذهب اللُّجم ، ويمرَحون في أرسانٍ يسمُّونها الحُكم [2]

ضربونا بسيفٍ لم يَطْبعوه ، ولم يملِكوا أن يرفعوه أو يضعوه ، سامَحَهُمْ في حقوق الأفراد ، وسامحوهُ في حقوق البلاد ، وما ذَنْبُ السيف إذا لم يستحي الجلاّد [3]

السفن . النون الحوت ويقصد به الغواصة . أي اننا نغادر اليوم براً تحكّم فيه الغاصب لنلاقي بحراً بدت الويلات في كل جنباتهِ من غواصات تغرق السفن وطيارات تلقي بالقذائف فيكون منها الموت

(١) وديعة التابوت هو موسى . وصاحب الحوت يونس

(٢) انسجم الدمع سال . وكنى بذهب اللجم وأرسان الحكم عن دلّ الحكومة تحت الحماية

(٣) طبع السيف عمله وصاغه . والمراد انهم اتخذوا الحكومة ذريعة في يدهم لالحاق الاذى بنا . وتركوا هذه الحكومة تفعل ما تشاء بحقوق الافراد لأَنّها أباحت لهم حقوق البلاد

ماذا تهمسان ، كأني أسمعكما تقولان ، أيُّ شيءٍ بَدَا له ، على هذه الضاحية ؟ وماذا شجا خيالَه ، من هــذه الناحية ؟ وأيُّ حسنٍ أو طيب ، لِمِلْحٍ يتصبَّبُ في كثيب ؟ ماءٌ عَكِر، في رملٍ كَدِر ، قناةٌ حَمِئَة، كأنها قناةٌ صَدِئَة ، بل كأنها وعَبْرَيْها رمال ، بعضُها متماسكٌ وبعضها مُنْهال ، وكأن راكبَ البحر مُصحِر ، وكأن صاحبَ البرِّ مُبحِر [(١)]

رويدكما ليسَ الكتابُ بزينة جلدِه ، وليس السيفُ بحليةِ غمدِه ، تلك التَّنائف ، من تاريخكم صحائف ، وهذه القفار ، كتبٌ منه وأسفار ، وهذا المجاز هو حقيقة السِّيادة ، ووثيقة الشَّقاء أو السعادة ، خيطِ الرَّقبة ، من اغتصبَه اختصَّ بالغَلَبة ، ووقف للأعقاب عقَبة ، ولو سَكَتَتْ لنطقت العِبر ، وأين العيان وأين الخبَر ، أُنظرا تريا على

---

(١) شجا حزن . الكثيب التل من الرمل . القناة الاولى الترعة . والثانية الرمح . وحمئة من حَمِيَ الماء أي خالطته الحمأة فكدر والحمأة والحمأ الطين الاسود ومنه في الآية الشريفة « لقد خلقنا الانسان من صلصالٍ من حمإٍ مسنون » . وصَدِئة من صَدِئَ الحديد أي ركبه الطبع والوسخ . عَبر الوادي وعِبره شاطئهُ وناحيته قال النابغة في الفرات « ترمي اواذيه العبرين بالزبد » وأواذيه امواجه . مصحر سائرٌ في الصحراء

وصف القناة على لسان ولديه كما تبدو للعين فهي في الظاهر لا شيء سوى ماء ملح يسيل بين الرمال أو كأنها بمائها العكر رمحٌ علاه الصدأ ملقى على الرمل . ولكن يجب أن لا نأخذ بالظواهر كما بين الكاتب ذلك في الفقرة التالية التي ردَّ فيها على ولديه

العَبرين عِبرة الأيام ، حصونٌ وخيام ، وجنودٌ قعودٌ وقيام ، جيشٌ غيرُنا فُرسانه وقوّادُه ، ونحن بُعرانه وعلينا أزواده ، ديكٌ على غير جداره ، خلا له الجوُّ فصاح ، وكلبٌ في غير داره ، انفردَ وراءَ الدّار بالنُّباح (١)

القناة وما أدراكما ما القناة ، حظ البلاد الأغبر ، من التقاء الأبيضِ والأحمر ، بَدْأتها أحلامُ الأُوَل ، وأماني الممالكِ والدُّول ، الفراعنة حاولوها ، والبطالسة زاولوها ، والقياصرة تناولوها ، والعرَبُ لأمرٍ ما تجاهلوها ، إلى أن جرى القدَرُ لغايتهِ ، وأتى اسماعيل بآيته. فانفتح البرزخُ بعنايته ، والتقى البحران تحت رايته ، في جَمْعٍ من التيجان لم يشهدْه إكليله ، قد كان يُتوَّجُ فيه لو شهدتْه جيوشُه وأساطيله ، وما اسماعيلُ إلا قيصر ، لو أنه وُفِّق ؛ والاسكندر ، لو لم يُخفِق، ترَكَ لكم عِزَّ الغد ، وكنزَ الأبد ، والمَنْجمَ الأحد ، والوقفَ

(١) التنائف جمع تنوفة وهي المفازة أو الارض الواسعة التي لا أنيس بها . المجاز المعبر والمسلك . وهو في البيان اللفظ المنقول من معناه الحقيقي الى معنى يلابسه وفي قوله : « وهذا المجاز حقيقة السعادة » تورية لطيفة . خيط الرقبة نخاعها يقال دافع عن خيط رقبته أي عن دمه

ردّ على ولديه فقال لا تأخذا بالظواهر فما قيمة الكتاب بغلافهِ ولا قيمة الحسام بقرابهِ . وهذه القناة الكدرة هي خلاصة تاريخ مصر . ومن استولى عليها فقد ضمن النصر لما لموقعها من الخطر. وقد عنى بمن ذكر من الجنود جيش الاجنبي المحتل

الذي ان فات الوالد فلن يفوتَ الولد[1]

ماذا على هـذه الرمال[2] ، من لَمَحاتِ جلالٍ وجمال ؟ ارجِعـا القَهْقرى بالخيال ، الى العصر الخال ، واعرِضا في حداثتِها الأجيال ، تريا على هـذا المكان وجوهاً تتمثّل ، وركاباً تتنقّل ، وتريا النُّبوةَ تتهلّل ، والآياتِ تتنزّل ، وتريا المَلَكَ[3] يترجّل ، حتى كأنكما بالزمان الأوّل ، فها هنا وُضع للنُّبوة المهد ، وابتدأ بها العهد ، فأقبل صاحب المقام ، ومُحطِّمُ الأصنام ، وبنّاء البيت الحرام ، خليلُ ذي الجلال

(١) التقاء الابيض والاحمر أي التقاء البحر الابيض المتوسط والبحر الاحمر بواسطة قناة السويس وقد سبق المؤلف فنظم هذا المعنى شعراً في همزيته المشهورة قال :

جمع الزاخرين كرهاً فلا كا   نا ولا كان ذلك الالتقاء
أحمر عند أبيضٍ للبرايا   حصّةُ القطر منهما سوداء

البرزخ قطعة أرضٍ بين بحرين . قيصر هو يوليوس قيصر الروماني الذي أحرز مجداً عظيماً بانتصاراتهِ واصلاحاتهِ . والاسكندر هو اسكندر المقدوني الملقب عند العرب بذي القرنين وهو مؤسس مدينة الاسكندرية المنسوبة اليه ويُعد من أعظم الفاتحين

كثيرون حاولوا نقض برزخ السويس من أيام الفراعنة ولو كان فتح القناة لم يتم الاّ على عهد اسماعيل في جمع من التيجان كما مرّ بك وصف الاحتفال في المقدمة

(٢) أخذ المؤلف يروي لولديه تاريخ تلك البقاع . وهو درس تاريخي جميل بليغ جمع الى سرد الوقائع والحوادث شيئاً كثيراً من فلسفة التاريخ وعبر الايام

(٣) الملك الملائكة

والاكرام . هاجر الى مصر اكرمَ مَنْ هاجر . ثم انقلبَ منها بأمْ العرب هاجر

ومن هـذه الثنيّات طلعَ يوسفُ يرسُفُ في القيد ، وهو للسيّارة[1] يسيرُ من كيدٍ الى كيد ، قلبٌ جرحتْه الأُخْوَة ، وجنبٌ قرّحتْه النِّسوة ، فيا لكَ يوسفُ من أُسوة ، عزٌّ بعدَ هُون ، ودولةٌ بعد المنزل الدُّون ، وشئونُ أقدارٍ وشجون ، وسهولُ حياةٍ وحزون ، وسجوفُ القصور بعد السجون . الى سجود الشّمسِ لك والقمر ، والكواكب الأُخر

والى هذا الفضاء خرج موسى حين زِيلَ زَويلُه[2] وطلبَهُ قتيلُه ، وزين له الفرارَ خلياه ، فخوته هذه الرمال فاذا الأَمنُ سبيلُه ، واليُمن دليلُه . والسلامة زاملته[3] والسِّلمُ زميلُه ، ولو أطلعه الله على غيبِه ، لَمسَ النبوةَ بين يده وجيبه ، الى ان رُفِع له المنار ، واكتحلَ بالنور واقتبَسَ من النار ، وقيل له كن من الأحرار الأحبار ، وارجِعْ فسلِّط الحقّ على فرعونَ الجبار ، فكان عليه السلام أولَ من اقتحم على الفردِ جبروتَه ، وهتكَ على المستبِدّ طاغوتَهُ ، وخَطَمَ[4] المتألِّهَ وحطَّمَ عظموتَهُ ، ماء الحق على لُطفِه ، ظفِرَ بنار الباطل على عنفه ، ظهر العدلُ

---

(١) السيارة القافلة (٢) زيل زويله أي زال جانبه ذعراً وفرقاً

(٣) زاملته رافقته . وأصل زامله عادله على البعير في المحمل أي كان هو في جانب وصاحبه في آخر (٤) خطمه ضربه على أنفه

على الحيْف . وكسرتِ العصا السيف

وعلى هـذه الأرض مشت السماء الطّاهرة ، والنيِّرة الزاهرة ، والآية المتظاهرة ، أمُّ الكلمة[1] ، وطريدة الظّالمة ، سرحوا في عِرْضها ، فأخرجوها من أرضها ، فضربَتْ في طول الأرض وعرضها ، يوسف حاديها ، وجبريلُ هاديها ، والقُدْسُ ناديها ، والطّهارة أرجاء واديهـا ، وعلى ذراعها مصباحُ الحكمة ، وجناحُ الرحمة ، والإصباحُ من الظّلمة ، حتى هبطتْ به أكرمَ الأديم ، فنشأ بين الحكيم والعليم . وترعرع حيثُ ترعرع بالامس الكليم

فيا لك من دار ، لَعبتْ على عَرَصاتِها الأقدار ، ناويت موسى ، القريب ، وآويْت عيسى ، الغريب ، نَبَوْت بالنَّبي ، وحبَوْت الأمن عيسى وهو صبي ، عُذرُكِ لا تُنْضَى اليه المَطي ، فانما غضبْت لابنِكَ القبطي[2]

ثم انظرا تريا إبلاً صِعابا ، وخيلاً عرابا[3] ، وتريا الرُّعاةَ[4] انقضُّوا على الوادي ذئابا ، فأخذوا القرى الآمنـة ، وأخرجوا من مصرَ الفراعِنة . واستبدوا بالمُلك فيها آونة .

---

(١) السيدة مريم (٢) اشارة الى القبطي الذي قتله موسى وغضبت له مصر فلم تقبل فيه من عذر (٣) العراب الكرائم (٤) الهكسوس أو الملوك الرعاة

وتريا الوحوشَ الضاريَة ، والجوارحَ الكاسرة ، يقودُها شر الأكاسرة [١] ، ملأتْ هذه الفِجاج [٢] ، وكأنها حرَجاتُ [٣] السَّاج ، أو حركاتُ الأمواج ، ثم تدفَّقتْ تكتَسحُ الديار ، باغيةَ السَّيف طاغيةَ النَّار ، تدكُّ الهيا كلَ والمعاقل ، وتهتكُ العقائدَ والعقائل

وتريا الاسكندرَ الكريم ، قد لَمَعَ كالصارم من هذا الصريم [٤] ، يحملُ الحملات النجائب . ويفتحُ بالكُتُب وبالكتائب .

وتريا ابنَ العاص والصحابة ، مروا من هذه الأرجاء مَرَّ السحابة ، يفتحونَ للحق ، ويفتكونَ بالرِّق ، حتى أخلَوْا القصور من القياصرَة . وأراحوا مصرَ الصَّابرة . من صَلَف الجبابرة

وتريا صلاحَ الدِّين يَخْفى كالبدر ويبدو ، ويروحُ كالغيث ويغْدو ، بُعوثٌ بلا عدد ، ومَدَدٌ إثرَ مدد ، وذخائرُ وعُدَد ، وبشرى كلَّ يومٍ بفُتوحٍ جُدُد

---

(١) هو قمبيز احد ملوك الفرس حكم من ٥٢٩ الى ٥٢٢ قبل المسيح وهو ابن قورش فتح مصر واستبد باهلها وقد ذكره المؤلف في قصيدة المؤتمر فقال :

لا رعاك التاريخُ يا يوم قمبـــيز ولا طنطنت بك الانباء
دارت الدائرات فيك ونالت هذه الامة اليدُ العسراء

(٢) مفردها فج وهو الطريق الواسع بين جبلين (٣) حرجات جمع حرَجة وهي مجتمع الشجر . والساج شجر يعظم جداً وخشبه اسود

(٤) الصارم السيف القاطع والصريم الرمل

وتريا نابليون قد ركبَ طيشَهَ . وأركب الغَرَرَ[١] جيشه

وتريا ابراهيمَ بنَ عليٍّ مشهورَ الجُراز[٢]، موفورَ الجِهاز، ملَكَ سوريا وضَبَطَ الحِجاز

وتريا اسماعيلَ بعثَ الحاشرين، وحشدَ الحافرين، وقرَّبَ المسافة للمسافرين، غيَّرَ وجْهَ السفر، فقيل بلغَ غايةَ الظَّفر، وقيل وقع الحافرُ فيما حفر

ثم انظرا اليوم ترَيا القناةَ في يد القوم إن أمنوا ركزوها[٣]، وإن خافوا هزوها

---

(١) الخطر (٢) السيف (٣) ركز الرمح غرسه في الارض وفي القناة هنا تورية اذ تحتمل معنى الرمح وقناة السويس

الذكرى

« هذه قصيدة من الشعر المنثور تغزل فيها المؤلف بالحرية وأهداها الى روح صديقه المرحوم مصطفى كامل باشا بمناسبة ذكرى وفاته » :

قلْ لا أعرف الرقّ ، وتقيَّد بالواجب وتقيَّد بالحقّ ، الحرية وما هِيَه ، (الحُمَيْراء)[1] الغاليه ، فتنة القرون الخاليه ، وطَابِة النفوس العاليه ، غذاءُ الطبائع ، ومادة الشرائع ، وأُمُّ الوَسائل والذَّرائع ، بنتُ العلم إذا عمّ ، والخلق إذا تمّ ، وربيبة الصبر الجميل والعمل الجم ، الجهلُ يئدُها[2] والصغائرُ تُفسدُها ، والفُرْقة تُبعـدُها ، تكبيرة الوجود ، في اذن المولود ، وتحية الدُّنيا له إذا وصل ، وصيْحة الحياة به اذا نَصَلَ[3] ، هاتِفٌ منَ السماء يقولُ له : يا ابنَ آدمَ ، حسبكَ من الأسماء عبدُ الله وسيدُ العالم[4] ، وهي القابلة التي تستقبله ، ثم

---

(١) الحميراء يريد أنها حمراء كالدم وصغرها للتعظيم . وقد تكون اشارة الى الروح التي يعبرون عنها بسريان الدم في الجسم (٢) يئدها أي يدفنها حية (٣) نصل السهم خرج نصله والمراد خروج الولد من بطن أمه كخروج السيف من غمده (٤) عبد الله . معناه ان الانسن وهو في الدنيا لا يكون عبداً الا لله وهو سيد العالم المنتفع بكل شيء فيه

تسرُهُ[١] ، وتسربله[٢] ، وهي المهدُ والتميمة[٣] ، والمُرضِعُ الكريمة ، المنجبة (كحليمه[٤]) ألبانها حياة ، وأحضانها جنات ، وأنفاسُها طيِّبات ، العزيزُ من وُلِدَ بين سَحْرِها[٥] ونحرها[٦] ، وتعلق بصدرها ، ولِعبَ على كتِفها وحِجرها ، وترعرعَ بين خِدرها وسِترها ، ضجيعةُ موسى في التابوت[٧] ، وجارتهُ في دار الطاغوت[٨] ،

---

(١) تسره تقطع سرره والسر ما تقطعه القابلة من سرة الصبي ولا تقل سرته لان السرة لا تقطع . وانما هي الموضع الذي قطع منه السر (٢) تسربله تلبسه السربال وهو القميص (٣) التميمة عوذة تعلق على الانسان (٤) حليمة هي مرضع رسول الله وهي من قبيلة بني سعد (٥) السحر الرئة والمراد ما فوقها (٦) النحر موضع القلادة من الصدر (٧) ضجيعة موسى في التابوت . حكاية التابوت أن المنجمين أخبروا فرعون مصر أن مولوداً من بني اسرائيل قد أظله زمانه الذي يولد فيه يسلبه ملكه ويخرجه من أرضه ويبدل دينه فأمر بقتل كل مولود يولد من بني اسرائيل من الغلمان

ولما قيل له أفنيت الناس وقطعت النسل وهم خولك وعمالك أمر أن يقتل الغلمان عاماً ويستحيوا عاماً فولد هارون في السنة التي يستحيا فيها الغلمان وولد موسى في السنة التي فيها يقتلون فحزنت أمه فأوحى الله اليها أن أرضعيه فاذا خفتِ عليه فألقيه في اليم وهو النيل ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين فلما وضعته أرضعته ثم دعت نجاراً فجعل له تابوتاً وجعلته فيه وألقته في اليم فأقبل الموج بالتابوت يرفعه مرة ويخفضه أخرى حتى أدخله بين أشجار عند بيت فرعون فخرج جواري آسية امرأته يغتسلن فوجدن التابوت فأدخلنه لى آسية فاحبته وحالت بينه وبين الذبح فلما بلغ أشده وأصبح في المدينة خائفاً يترقب قال ربي نجني من القوم الظالمين ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل ثم كانت رسالته فالحرية التي اضطجعت مع موسى في التابوت وجاورته في دار الطاغوت هي التي اعتمد عليها في إنقاذ قومه من ظلم فرعون (٨) الطاغوت الكفر

والعصا [1] التي توكأ عليها ، والنَّارُ التي عشَا اليها [2] ، جِبلة المسيح ، السيِّد السميح ، وانجيله ، الذي حاربهُ جيله [3] ، وسَبيله ، الذي جانَبَهُ قَبيله ، طِينةُ [4] محمدٍ ، عن نفسه ، عن قومه ، عن أمسه ، عن يومه ، أنسابٌ عالية ، وأحسابٌ زاكية ، وملوكٌ بادية ، لم يَدنهم طاغيـة ، وهي رُوحُ بيانه ، ومُنحدَرُ السُّوَر على لسانه . الحرِّية ، عقدُ المُلك ، وعهدُ المَلَك ، وسُكان الفلك ، يدُ القلم ، على الأمم ، ومِنحة الفكر ، ونفحة الشعر ، وقصـيدة الدهر ، لا يُستعظَمُ فيهـا قربان ، ولوْ كان الخليفة عثمان بن عفان ، جنينٌ يحمَلُ به في أيام المِحنَة ، وتحتَ أفياء [5] الفتنة ، وحينَ البغي سـيرة السَّامَّة [6] ، والعدوان وتيرة العامَّة ، وعنـدَ تناهي غفلة السواد ، وتفاقم عبَث القوَّاد ، وبين الدَّم المطلول ، والسيف المسلول ، والنظم المحلول ، وكذلكَ كانَ الرُّسلُ

(١) العصا هي عصا موسى وهي معجزته التي كانت اذا ألقاها انقلبت حية تسعى وأراد أن يثبت لفرعون مصر أنه مرسل من عنـد الله لتحرير أمته بني اسرائيل من الرق والعبودية . فعصا موسى هي عصا الحرية لأن الله حرر أمته على يده (٢) عشاها قصدها ليلا يوم سار بأهله فآنس من جانب الطور ناراً فكانت رسالته بذلك الوادي المقدس الى فرعون لينقذ بني اسرائيل من رق الفراعنة الى بحبوحة الحرية (٣) جيله قومه . وقد أبوا ان يتبعوه الا قليلا منهم وهم الحواريون (٤) طينة محمد عن نفسه الخ أي ان محمداً خلق من الحرية وقبل أن يخلق كان سارحاً في فضائها ولما بعث محمد دعا الناس جميعاً الى الحرية (٥) الافيـاء هي الظلال (٦) السامة الخاصة

يولدون عندَ عموم الجهالة ، ويُبعثون حين طمُوم الضلالة ، فاذا كَملَتْ مدَّته ، وطلعَتْ غُرَّتهُ ، وسطعَتْ أسرَّته ، وصحَّتْ في المهـد إمرته ، بدلت الحال غيرَ الحال ، وجاءَ رجالٌ بعـدَ الرِّجال ، دينٌ ينفسحُ للصادق والمنافق ، وسوقٌ يتسع للكاسد والنَّافِق (١) ، مولودٌ حملْهُ قرُون ، ووضعهُ سِنُون ، وحَداثته أشغالٌ وشئون ، وأهوالٌ وشجون ، فرحمَ اللهُ كلَّ من وطَّأ ومهَّد ، وهيَّأ وتعهَّد ، ثمَّ استشهدَ قبلَ أن يشهد

إذا أحرزت الأممُ الحرِّيةَ ، أتت السيادة من نفسها ، وسعت الامارة على رأسها ، وبُنِيَت لحضارة منرأسها ، فهي الآمرُ الوازع ، القليلُ المُنازِع ، النبيلُ المشارب والمنازِع ، الذي لا يتخذ شِيعة ، ولا صنيعة ، ولا يَزْدهي بخديعة ، خزنٌ ساهر ، وحاسبٌ ماهر ، دانقُ الجماعة بذمةٍ منهُ وأمان ، ودرهمهم في حِرْزه درهمان

(فيا ليلى (٢)) ماذا مِن أترَاب ، واريت التراب ؟ وأخـدان ، أسلمت للديدان ؟ عُمَّالٌ للحق عُمَّار ، كانوا الشموسَ والأقمار ، فأصبحوا على أفواه الرُكاب والسمَّار ، وأين قيسُك المعول ؟ ومجنونك الأوَّل ؟ حائط الحق الأطول ، وفارسُ الحقيقة الأجول ؟ أينَ مصطفى ؟ زين الشباب ؟ وريحان الاحباب ؟ وأولُ من دفعَ الباب ؟ وأبرزَ النَّاب . وزأرَ دون الغاب ؟

(١) النافق الرائج (٢) يناجي الحرية باسم ليلى ويسألها عن (قيسها) و(مجنونها)

الشمس

سَلِ الشَّمسَ مَنْ رَفَعها نارا ، ونصبَها [1] منارا ، وضَرَبَها دينارا [2] ؟ ومَنْ علَّقها في الجوِّ ساعة [3] ، يَدِبُّ عقرباها إلى يوم الساعة [4] ؟ ومَن الذي آتاها مِعْراجَها [5] ، وهداها أدْراجَها [6] ، وأحلَّها أبراجَها ، ونقَّلَ في سماء الدنيا سراجَها ؟ ومَن الذي وكَّلَها بهذه الكُرة ، وشَغَلَها بهذه الدَّسْكَرَة [7] ، حتى اتَّخَذَتْها مَجَرَّ ذيالها [8] ، وتصرفَتْ بنهارها وليلها ، تَنْهَضُ في السماء مُسْتَمْلَحَةً ، وتمشي على الأرض مُصاحَةً ، وتغدو منجحة [9] ، وتروحُ مُرْجِحَةَ [10] ، كلُّ إياة [11] ، حياة أو ائتناف [12] حياة ، وكلُّ شُعاع صانع صَنَاع ، وكلُّ رائد ، مالٌ فائد [13] ، وخيرٌ زائد ، هيَ المصباحُ الأنْور ، المِغْزَل

(١) نصبها أقامها (٢) أي كالدينار صفرة واستدارة (٣) اي كالساعة التي يعرف بها الوقت (٤) عقربا الشمس هما الليل والنهار تشبيهاً لهما بعقربي الساعة (٥) المعراج السلم (٦) جمع دَرَج وهو الطريق (٧) الدسكرة القرية العظيمة والمراد بها هنا الدنيا (٨) المراد بالذيل الاشعة أي أنها اتخذت الدنيا مكاناً تجر عليه أشعتها (٩) غدو الشمس إشراقها (١٠) الرواح الغروب ومرجحه أي مجزل العطاء (١١) الأياة والشعاع والرائد كلها بمعنى واحد (١٢) ائتناف أي تجديد (١٣) المال الفائد الثابت على الزيادة والربح

الأدور[١] ، والمِرْجَلُ الأزهر[٢] ، والصبّاغُ الأمْهر[٣] ، والراووق[٤] الأطهر ، والطبيب الأقدر الأشهر

الزمانُ هي سببُ حصوله[٥] ، ومُنْشَعَبُ[٦] فروعه وأصوله ، وكتابه بأجزائه وفصوله ، وُلِدَ على ظهرها ، ولَعِبَ على حِجْرِها ، وشاب في طاعتها وبِرّها ، لولاها ما اتّسَقَتْ[٧] أيامُه ، ولا انتظمتْ شهورُه وأعوامه ، ولا اختلف نورُه وظلامُه ، ذَهَبُ الأصيلِ مِن مناجمها[٨] ، والشفقُ يسيلُ مِنْ محاجمها[٩] ، تحطَّمَت القرونُ على قرنِها[١٠] ، ولم يَعْلُ تطاولُ السنينَ بسِنّها[١١] ، ولم يمحُ التقادم[١٢] لمحةَ حسنِها ، أَتَتْ دونَها الأيامُ وهي كَعاب[١٣] ، في[١٤] غَرْب

---

(١) الادور شديد الدوران وتشبيه الشمس بالمغزل لأنها تفتل الاشعة وترسلها بسرعة (٢) المرجل القدر والازهر النير المشرق وشبه الشمس بالمرجل بجامع الانضاج في كل (٣) تصبغ النبات فتجعله اخضر وتحبو الحيوان ألوانه المختلفة ثم تعطي باشعتها كل شيء لونا (٤) الراووق المصفاة والغرض انها مطهرة (٥) الليل والنهار والفصول الاربعة هي مظهر الزمان ولولا الشمس ما كانت ولا كان الزمان (٦) المنشعب المفترق (٧) اتسقت اي انتظمت (٨) المنجم المعدن والمؤلف يشبه الاصيل بالذهب بجامع الصفرة في كل (٩) المحجم مكان الحجامة وهي أخذ الدم من الجسم والمؤلف يشبه الشفق بالنسبة الى الشمس بالدم بالنسبة الى شخص يحتجم بجامع الحمرة في كل (١٠) قرن الشمس اعلاها وقيل اول ما يبدو من اشعتها (١١) السن العمر والمعنى ان طول الزمن لم يؤثر فيها شيئاً (١٢) التقادم القدم (١٣) كعبت الجارية نهد ثديها فهي كعاب (١٤) غرب الشباب حدته ونشاطه

الشباب ، تصبح تبرزُ من حجاب ، وتُمسي تتوارى بحجاب ، طالما ردّتْ الغِربانَ حمائم[1] ، ونَسَجتْ الثلاث العمائم[2] ، وغزلتْ الأكفان ، لحيٍّ فان ، وطلعتْ على عَزَبٍ[3] وغربَتْ على بانٍ[4] ، قامتْ على غير قدَم ، حتى طال عليها القِدَم ، وقيل ما لهذه عدَم ، كلا ، لتَخِرَّنَّ عمادا[5] ، ولتَذْهَبنَّ رمادا ، وليبعثَنَّ الله جمادا[6]

---

(١) اي تحيل الشبان شيبا (٢) العمائم الثلاث كناية عن شعر الشباب الاسود واختلاط السواد بالبياض في الاشمط والبياض في الشيوخ (٣) العزب الذي لم يتزوج (٤) البـاني المتزوج (٥) لتسقطن (٦) اي يبعث على اثرها من العظام احياء ويشير بهذا الى ان الشمس تبقى ولا تفنى الا قبيل الساعة حتى اذا ما فنيت نشرت الخلائق بعد ذلك و « نُفِخَ في الصورِ فصَعِقَ من في السماوات ومَنْ في الارض »

الموت

راكبَ الأعوادِ[1] إلى أين ؟ يا بُعْدَ غاية البَيْن[2] ، ويا قرْبَ الميـلادِ من الحَيْن[3] ، ويحَ قومِك ، هل انتبهوا مِن نومِك[4] ، ولمسوا عِبْرَةَ الدهرِ بيومِك[5] ، حَمَلوكَ على حَدْباء[6] ، يقعدُ الأبناءُ منها مَقْعَدَ الآباء ، هي أعدلُ ـ إذْ تَضَعُ[7] ـ من حوّاء ، تُلْقِي حَمْلها فإذا المَلِكُ والسُّوقةُ سواء ، حقيبةُ المنيَّة[8] كلَّ يومٍ في ركاب ، مِن مناكبَ[9] ورقاب ، تحمِلُ الشيِّبَ والشباب ، الى رَحَى البِلى في اليباب[10] ، فيدورُ عليهم الدُّولاب[11] ، فإذا هم حصى وتراب ، ومن عجَبٍ يعدلونَها بك إلى السَّبيل[12] ، وما هي لعَمْرُ أبيك إلا الدَّليل ،

---

(١) الاعواد كناية عن النعش والخطاب للميت (٢) البين الفراق وهذه الجملة اشارة الى بعد الزمن ما بين الموت والنشور (٣) الحين الموت وهنا اشارة الى قصر الحياة (٤) اي اتعظوا به (٥) العبرة العظة ويومك اي يوم موتك (٦) نعش (٧) اي تلد والمراد اذ تسلم الاموات الى القبور (٨) كناية عن النعش (٩) المناكب الاكتاف (١٠) اليباب القفر والخراب والمراد برحى البلى هنا القبر اذ فيه يتم الفناء (١١) الدولاب الآلة الدائرة والمراد بها هنا دولاب الفناء (١٢) يسيرونها كيفما شاءوا مع انها هي التي تقودهم الى طريق الحق

في موكبٍ غيرِ ذي صوت ، أضفى[١] عليه جلالَهُ الموت ، أنت فيه جِدٌّ في لعب ، وصدقٌ في كذب[٢] ، لكَ فيه علُوُّ المتبوعِ في التَّبَعِ[٣] ، واللواء في الخميس[٤] والخطيب في الجُمع ، بَيْدَ أن ذلك لا يمنعُك من الأرض[٥] ، ولا ينفعُك يوم العَرْض[٦] ، لستَ والله صاحبَ الآخرة[٧] ، وإن كنتَ صاحبَ الجنازة الفاخرة ، حتى تُشيِّعَ بيتيمٍ بعدك مُضَيَّع ، أو بائسٍ من ورائك يائس ، أو وطن يبكيكَ عقلاؤه ، ويضجُّ عليك فضلاؤه ، ويمشي بنورك أبناؤه ، ويُضيءُ حفرَتَك ثناؤه . أنظر ـ رحمك اللهُ ـ هل ترى غيرَ باكٍ كضاحك المزْن[٨] ، ليس وراءَ دمعه حُزْن ، أو وارثٍ مشغولٍ بما ملَك ، أو فضوليٍّ يسألُ كم ترَك ، زُخْرُفُ جنازة ، وينفضُّ دونَ المفازة[٩] ، وضجةُ الخروج من الدُّنيا وزورها ، وآخر عهْدكَ بباطلِ الحياة

(١) أفاض (٢) الآخرة جد والدنيا لعب وهي صدق والدنيا كذب . فهو بينهم ميت في وسط احياء فوصفه باوصاف الآخرة كما وصفهم باوصاف الدنيا (٣) التابعين (٤) اللواء العلم والخميس الجيش (٥) الارض القبر (٦) القيامة (٧) أي صاحب الجزاء الحسن فيها . والمراد بهذه الجملة وما يليها انك لن تنال ما ترجوه من نعيم الله حتى تشهد لك دموع اليتامى من بعدك وبكاء البائسين على قبرك ، وعبرات الفضلاء يوم مصرعك ، واحزان الوطن لفراقك (٨) المزن السحاب الغزير الماء . والغرض انك لا تجد حولك الا دمعاً كذباً وحزناً كله رياء (٩) المفازة الفلاة المهلكة لعدم وجود الماء والمراد بها هنا موضع المقابر . يقول كل ما خرجت به من الدنيا موكب مزين ينفض قبل ان يواروك التراب

وغرورها . ولو أطْلَلْتَ على فانٍ طالما حَمَلَكَ[١] ، وباطلٍ بالأمس شَغَلَكَ ، وقليلٍ متاعٍ قتَلَكَ ، ثم لَمْ يبق لك : لم تر غير حلمٍ بُتِرَ[٢] ، وملْعَبٍ سُتِرَ ، وماءٍ عُبِرَ[٣] ، وظلٍّ هُجِرَ ، ومالٍ خُسِرَ ، ووارثٍ مُنْشَمِرٍ[٤] ، يسيرون بك إلى المُنفَرَق[٥] ، وسواء الطُّرُق ، ويأخذون بكَ ناحيةَ الحقّ ، وسبيلَ الخَلْق ، وقصبةَ السَّبْق . هُوَّةُ البلى ، وغَمْرَةُ الفَلا[٦] ، والميعاد ، ومدينةُ عاد ؟ وعَرَصَاتُ المَعَاد[٧] ، والبلدُ الذي ابيَضّتْ فيه الأكباد[٨] ، وخُفّفَتْ بظاهره الأحقاد ، وصحا الفؤاد ، عن الأموال والأولاد ، كلُّ مكانٍ فيه مَضْجَع ، وكلُّ زمان فيه رُقاد[٩] ، ثم إذا انتَ ببيتٍ[١٠] ، لا ينزلُه إلا مَيْت ، اختطّهُ الباطلُ وبناه ، لنزول الحقّ وسُكناه[١١] ، كل

---

(١) جواب (لو) قوله «لم تر غير حلم بتر» (٢) قطع (٣) عبر الماء قطع من شاطئه الى شاطئه (٤) انشمر مرّ جاداً أو مختالا (٥) مكان الفصل بين الدنيا والآخرة والمراد بهذا وما بعده اوصاف للمقابر عامة اما وصف القبر خاصة فسيأتيك بعد قليل (٦) الفلا الارض الفضاء الموحشة والغمرة المزدحم والمراد ان المقابر هوة يكون فيها الفناء وارض يزدحم فيها الاموات (٧) العرَصات الفضاء بين الدور والمعاد موضع العَود والنشور (٨) سواد الكبد كناية عن الحقد والحسد وبياضه طهره من كل هذه الارجاس (٩) يقضي الميت مدته فيه كلها في رقاد طويل (١٠) القبر (١١) الانسان الموجود في الدنيا دار الباطل والغرور يحفر القبر ليسكنه الميت الذاهب الى دار الحق والرشاد

حجَرٍ فيه من جدار ، مشاعٌ[1] بين الدّار والدّار ، حتى إذا أطرق[2] الجَمْع ، وأُطْبِق الدَّمْع ، وفَرِق البصرُ والسَّمْع[3] ، قُذف ما في السَّرير[4] ، فتلقفَهُ الحَفير[5] ، ووُكِلْتَ لمنكَرٍ ونكير ، لا بل لرحمة المَلك القدير

فيا عَبْدَ المال ، أضَرَّكَ أنك عُتِقْتَ[6] ؟ ويا أسيرَ الآمال ، أما سَرَّكَ أنكَ أُطْلِقْت[7] ؟ ويا كثيرَ التحوُّل والتقلُّب ، قلِّبْ إن استطَعْتَ جَنْبَيْك ! ويا مُديمَ التطَلُّعِ والتطَلُّب ، اطلب من البِلى نورَ عينيك ! ويا مُزَحزِحَ الصمِّ[8] الصِلاب ، زحزحْ عن رأسِكَ هذه الظُّلمة ! ويا فاتحَ المغالق الصِعاب ، افتحْ لكَ اليومَ ثُلْمَة[9] ! كأني والله بالدَّهر وقد خلا ، وبالمحزون وقد سَلا[10] ، وكأني بكَ وقد فرَغَ منكَ الثرى وقامتْ عنكَ الرَّحى[11] . فإذا أنت عِظامٌ ، كما اختُرِطَ العُنْقود[12] . ثم إذا أنت رَغامٌ[13] ، جفَّ الماءُ وذهَبَ العود

---

(١) مشاع مشترك (٢) اطرق برأسه أماله الى الارض حزناً (٣) فرق فزع وخاف (٤) السرير النعش (٥) الحفير القبر (٦) الاستفهام هنا انكاري (٧) الاستفهام هنا تقريري يقرر ما بعده (٨) الصم الحجارة الصماء (٩) ثلمة فتحة وكل ما تقدم الغرض منه اظهار نهاية عجز الانسان بعد الموت وكأنما يقول «وإنْ يسلبهم الذبابُ شيئاً لا يستنقذُوهُ منه» (١٠) سلا اي تعزى وترك (١١) اي لم يبق منك ما يصلح للطحن كناية عن تمام الفناء (١٢) اخترط الرجل العنقود وضعه في فيه واخرج عوده عارياً (١٣) الرغام التراب

دُعَاءُ الصَلاةِ العَامّة

« في سنة ۱۹۱۹ هبت البلاد في ثورة عامة تطلب استقلالها المغصوب . واوفدت لذلك وفداً ليرفع هذا الصوت في مؤتمر (فرساي) ، فاوصد الباب في وجهه ، واضطر الى ان يلبث في فرنسا سنة كاملة بين تعب ناصب ، وجهاد طويل . ثم تلقى دعوة الى المفاوضة مع الانكليز في عاصمة بلادهم . يومئذ وضع المؤلف هذا الدعاء البليغ ، فاجمع الناس من كل دين على أن يتوسلوا الى الله ان يعز به نواب البلاد . وعقب صلاة الجمعة من يوم ۱۷ رمضان سنة ۱۳۳۸ (٤ يونيو سنة ۱۹۲۰) ارتفعت اصوات المسلمين من كل مسجد في كل بلد من بلاد القطر تهتف بهذا الدعاء الحار ، وملء القلوب امل ، وملء الانفاس توسل ورجاء » :

اللهمّ قاهرَ القياصر ، ومُذلَّ الجبابر ، وناصرَ مَن لا له ناصر ، ركنَ الضعيف ومادّةَ قُواه ، ومُلهِمَ القويّ خَشْيَتَهُ وتَقْواه ، ومَنْ لا يحكم بين عباده سواه ، هذه كِنانَتُك فَزِعَ[1] اليك بنوها ، وهرَعَ اليك ساكنوها ، هلالاً وصليبا[2] ، بعيداً وقريبا ، شُبّاناً وشيبا ، نَجِيبَةً ونجيبا[3] ، مُستَبِقينَ[4] كنائِسَك المكرَّمة ، التي رفعْتَها لقدسك أعْتَابا ، مُيممين مساجدك المعظمة ، التي شرعْتَها لكرمك أبوابا ، نسألك فيها بعيسى روح الحق ، ومحمّدٍ نبيِّ الصدق ، وبموسى الهارب من الرقّ ، كما نسألك بالشهر

---

(۱) فزع اليه استغاثه (۲) أي من يحمل الهلال ومن يحمل الصليب
(۳) النجيب الكريم الحسب والنجيبة مؤنثه (٤) استبقوا أي تسابقوا الى

الابرّ والصائميه[١] ، وليلهِ الأغرّ والقائميه ، وبهذه الصلاةِ العامةِ من أقباط الوادي ومُسْلميه، أن تُعزّنا بالعتق[٢] إلاّ من ولائِك ، ولا تُذِلّنا بالرق لغير آلائِك ، ولا تحملنا على غيرِ حكمِك واستعلائِك[٣]. اللهمّ إنّ الملأ[٤] منّا ومنهم قد تداعَوْا[٥] الى الخُطّة الفاضلة ، والكلمة الفاصلة ، في قضيتنا العادلة ، فآتنا اللهم حقوقَنا كاملة ، واجعل وفدَنا في دارهمْ هو وفدَك ، وجندَنا الأعزل الا من الحق جندَك ، وقلّده[٦] اللهم التوفيقَ والتسديد ، واعصمهُ في ركنك الشديد ، أقِمْ نوّابَنا المقامَ المحمود ، وظَلّلْهمْ بظلّك الممدود ، وكن أنت الوكيل عنّا توكيلاً غير محدود ، سبحانك لا يُحَدّ لك كرمٌ ولا جود ، ويُرَدّ اليك الأمرُ كلّهُ وأمرُك غيرُ مردود . واجعل القوم محالفينا ، ولا تجعلهم مخالفينا ، واحمل أهل الرأي فيهم على رأيك فينا . اللهم تاجَنا منك نطلبهُ ، وعرشَنا اليك نخطُبهُ ، واستقلالَنا التامَّ بك نستوجبُه ، فقلّدْنا زمامَنا ، وولّنا أحكامنا ، واجعل الحق إمامنا ، وتمْ لنا الفرح ، بالتي ما بعدها مقْتَرَح ، ولا وراءها مُطَّرح[٧] ، ولا تجعلنا اللهمّ باغين ولا عادين ، واكتبْنا في الأرض من المصلحين ، غيرِ المفسدين فيها ولا الضالين ، آمين

---

(١) أي الذين يصومون فيه وكذلك القائميه وهنا (أل) موصولة
(٢) العتق التحرير من الرق (٣) الاستعلاء الغلبة (٤) الملأ هنا بمعنى أشراف الناس (٥) اجتمعوا (٦) قلده السيف وضع حمالته في عنقه
(٧) اطرح الشيء أبعده وطرحه

الشباب

الشباب أيام آذار [١] ، ودولَة العِذار [٢] ، وأعِنَّةُ الاوطار [٣] ، وليلة العُرسِ في هذه الدار . سِنَةٌ كالطيف سُراها [٤] ، وكقبلة الخَلْسِ [٥] حلمُ كراها ، ونَشْوةٌ يتلفَّت المستفيق لا يراها ، وجِنَّة لَو خُيِّر المقْبِلُ [٦] بالعقل اشتراها . العشقُ في غير جناحِهِ [٧] ، طائرٌ لا ينهضُ به جَناح ، والكأسُ من غير راحه ، غبيَّة الساقي بليدة الراح [٨] . والمالُ في غير خزانته غريب ، ويتحولُ عن قريب . رؤيا الوارث في نومِه ، وشغله في يومه . ومِلْكُ يدِه ، في غدِه . السلطانُ والدَّوْلة ، والامكان والصَّوْلة ، والملْكُ وكلُّ ماحوله ، نِعَمٌ إذا لم تُحرَز في الشباب فما هي في الحِرْز الحريز [٩] ، ودُوَلٌ إذا لم تعتزَّ به فليست في الذَّرا [١٠] العزيز . ولذاتٌ إذا لم يشهدْها غادَتْها حسْرة الفوْت ،

---

(١) آذار في الشهور العبرية يقابل (مارس) في الشهورالافرنجية ، وهو مستهل الربيع (٢) العذار جانب اللحية (٣) الأوطار الأغراض (٤) السنة الغفلة أو فتور يتقدم النوم والسرى السير في الليل (٥) الخلس من خلس الشيء أخذه في مخاتلة (٦) الجنة الجنون والمقبل المجنون يشفى من جنونه (٧) في غير كنفه (٨) غباوة الساقي وبلادة الراح كناية عن ضآلة فرحها وضعف نشوتها (٩) الحرز الحريز الحصن المنيع (١٠) الذّرا الكنف والملجأ

وراوحتها فكرة الموت

أروعُ الشهرة ماطار في سمائه ، وأمتعُ الصيتِ ما سار تحت لوائِه ، وأحسنُ الثناء ما أتى في أثنائه ، ورفَّ على قشيبِ ردائه [١] . في مطالعه يروعُ النبوغ ، كما تروعُ الشمسُ في البزوغ ، أو الهلالُ الغلام [٢] في البلوغ

فيا ناهبَ شبابِه ، قاعداً للتجْرِ [٣] ببابه ، يسرِفُ في الرَّحيق وحُبابه [٤] ، ويتلِفُ الصِّبا بين صبابته وأحبابه ، . . . أفقْ ! تلك دنان [٥] ، لا تقوى على الادمان ، [٦] ولا يملؤها مرتين الزمان ، كَرْمٌ لا يوجدُ في الجنان ، ولا ينبت في « مالِقَة » ولا « شَمْبَان » [٧] . عناقيدُه مُختضَرَة [٨] الثمار ، مختصَرَةُ الأعمار ، بريئة الخمر من الُخمار [٩] . حَلَبُها [١٠] الأفراح ، وجَلَبُها المِراح ، وهي فارضِيَّة [١١] الراح ، لم تطَأْها الأقدام ولم تَمسَسْها الرَّاح [١٢] . فلا تَعُبَّ الرّاقود [١٣] ، واشربْه نُغْبةً نُغْبَة [١٤] ، ولا تخترِطْ [١٥] العنقود ، وكلْه حبَّةً حبَّة

---

(١) الرداء القشيب الجديد النظيف (٢) اي الصغير (٣) التجر بائع الخمر (٤) الرحيق الخمر والحباب الحب (٥) جمع دن وهو إناء الخمر (٦) الادمان مداومة الشراب (٧) شمبان مقاطعة في فرنسا اشتهرت بجودة الخمور . وما لقة مدينة في اسبانيا في ضواحيها كروم يستخرج منها نبيذ (ملقا) المشهور . وقد استعاض المؤلف بهذين البلدين عن (بابل) واندرين وعما اعتاد العرب أن يذكروا من البلاد اذا ذكروا الخمور (٨) اختضر الكلأ قطع وهو أخضر (٩) الخمار صداع الخمر وأذاها (١٠) الحلب اللبن المحلوب (١١) فارضية نسبة الى ابن الفارض (١٢) الاكف (١٣) عب الماء شربه بلا تنفس والراقود دن الخمر (١٤) جرعة جرعة (١٥) اخترط العنقود وضعه في فمه ثم اخرج عوده عارياً



شجرةٌ مرآها جميل ، وظِلها مقيل(١) ، وأَعاليها هَدِيل(٢) ، وهي مذَلَلةُ السَّبيل ، الطيرُ على جوانبِها تميل ، والناسُ في ظِلِّها الظليل . فأما الطير فتنزِلُ مُجمِلات(٣) ، وترحَلُ غيرَ مُحمَّلات، تسقطُ مُشفقات ، وتَلقطُ مُترفِّقات ، وتشدو بشُكرِ الصنيعِ مُنطلِقات . وأما الناسُ فلا يتئّدون في الثَّمرة(٤) ، ولا يرفُّهون عن الشجرة(٥) . يهزُّون أصولَها بعنف ، وينفضُون فروعَها بغيرِ لطْف . يساقِطون الجنى(٦) ، بطرَفِ العصا ، ويَستنزِلون الثمرَ برمي الحجر ، يلمُّون ويلومون(٧) ، ويطْعَمون ويطعنون ، ويَلْعقون(٨) ويَلعنون . يجنون الثمر ، ويَلْحون(٩) الشجر

---

(١) المقيل الذي يؤوى اليه عند الظهيرة (٢) الهديل صوت الحمام (٣) أجمل في الطلب رفق (٤) لا يتمهلون في جنيها (٥) رفه عنه تقّس وخفف (٦) يساقطونه أي يتابعون إسقاطه والجنى ما يجنى من الشجر ما دام غضاً (٧) يلمون الثمر ويلومون الشجر لانه لم يشبع نهمهم (٨) لعق العسل لحسه والمراد التمتع بحلاوة الثمر (٩) لحا الشجرة قشرها ولحاه أيضاً سبه وعابه

الظالم

قَليلُ المُدَّة، كَلِيلُ العدَّة[1]، وإن تظاهر بالشدَّة، وتناهى في الحِدَّة. عقربٌ بشَوْلها[2] مُختالة، لا تَعدَمُ نعلاً قتَّالة. ريحٌ هَوْجاءُ لا تلبثُ أن تتمزَّقَ في البيد[3] أو تتحطَّمَ على أطراف الجلاميد[4]، فتبيد. جامحٌ[5] راكبٌ رأسه، مُخايلٌ بيأسِه. غايته صخرةٌ يُوافيها، أو حُفرةٌ يَتَردَّى فيها. سيلٌ طاغ لا يعدَمُ هضاباً تقِفُ في طريقه، أو وِهاداً[6] تجتمعُ على تفريقه. جِدارٌ مُتداعٍ أكثَرُ ما يتهدَّد[7]، حين يهُمُّ أن يَتهدَّد[8]. هو غداً خراب، وكوْمةٌ من تراب. نارٌ مُنقطِعَةُ المَدَد، وإن سدَّتِ الجُدَد[9]، وملأتِ البلد، يأكلُ بعضها بعضاً كنارِ الحسد

---

(١) السيف الكليل الذي لا يقطع (٢) الشولة ما ترفع العقرب من ذنبها (٣) جمع بيداء وهي الفلاة (٤) جمع جلمود وهو الصخر (٥) أي فرس جامح (٦) جمع وهدة وهي الهوة في الارض (٧) أي اكثر ما يخاف منه (٨) يسقط (٩) الطريق الواسع

القلب

يا طبيبَ الجمَاعة : قُمْ أَلقِ السمَّاعة ، وسَلْ هذه السَّاعة [1] ، مَن أدقَّ اللَّحمَ صِناعة ، ومَنَح الدَّمَ المَنَاعة ؟ مُضْغَةٌ [2] إذا فَتَرَتْ [3] سُلِبَتْ البراعة ، ولَبستْ العَجْزَ والضَّراعة [4] ، تدابيرُكَ عِنـدئذ مُضاعة ، وعقاقِيرُكَ مُزجاةُ [5] بِضاعة

---

(١) المراد بالساعة هنا القلب ، شبه بها بجامع الدق المنتظم في كلٍّ
(٢) قطعة لحم (٣) فتر سكن بعد حدته (٤) الضراعة الضعف
(٥) البضاعة المزجاة اي الرديئة

الذكرى

من البِرِّ يا قلبُ أن نَدَّكِر[1] فمِلْ بي على الفائتِ المُنْدَثِرْ
ولا تألُ[2] ذِكرى ولا تدَّخر

هَلُمَّ نَنشُرْ مَطْوِيَّ الصَّفحات ، ونقرِّبْ نازحَ[3] اللذات ، ونَؤُبْ من سَفَرِ الأيَّامِ بغائب اللبانات[4] . أعِدْ عليَّ من دقاتِ نَاقوسِكَ ترنيما[5] ، كانـ لذيذَ الحواشي رخيما ؛ ومن دقائق ساعتِك ما رنَّ في أُذني قـديما . فما زِلتَ يا قلبُ تقضِي الُحقوق ، وتذكرُ العهودَ فتجزِيها التَّلَفُّتَ[6] والخفوق ، حتى كأنَّك قلبان ، اثنان ، قلبٌ مع الماضي مُتخلِّفُ العِنانـ ، وقلبٌ يسايرُ رَكْبَ[7] الزمان . بِعيشك قلْ لي : من علَّمَك ردَّ الاحلام ؟ ، ورُجوعَ القهقرَى في نَواحي الأيام ؟ ، ومن رَسَمَ لك الالْمام[8] ، بدِمْنة عيش أو برَسْمِ غرام[9] ؟ . ومن علَّم الدَّمَ وَصْلَ الحبال[10] ،

---

(١) ادكر الشيء ذكره (٢) ألا في الامر يألو قصر فيه وابطأ (٣) النازح البعيد (٤) آب يؤوب رجع واللبانات الحاجات (٥) الترنيم تطريب الصوت (٦) تلفت القلب كناية عن الشوق (٧) الركب ركاب الخيل أو الابل (٨) رسم له كذا أمره به وألم بالقوم إلماماً زارهم زيارة قصيرة (٩) الدمنة آثار الدار والرسم ماكان لاحقاً بالارض من هذه الآثار (١٠) المراد بالحبال هنا العهود

وحمل اللحمَ ما يوهن الجبال ، من الحنينِ إلى سالف خال ، أو البُكاء على دارسٍ بال ؟ وما سلطانُك يا قلبُ حتى تدنيَ المُمعِنَ[١] في بُعْده ، وتجِدَه وإن تطاولَ العهدُ على فَقْده . ؟ ومن علّمك أن تتحدّث ، وتقلبَ الأقْدمَ والأحْدث[٢] . وتذكرَ الصبّا وأيامَهُ ، وواديهُ وآرامه[٣] ، وبِساطَه ومُدامَه ؟

هو اللهُ الذي صوّرك فأدقّك ، وقدّر خفوقَك ودقّك ، ومهّدك وزقّك[٤] ، وكتب عليك في الضلوعِ رقّك[٥] . وما أنت لولا التذكرُ والفكر ، إلا كبعضِ القلوبِ إذ هي حَجَر ، ينفجرُ بالعذبِ ولا يَعلمُ كيف انفجر ، ولا متى نَبَعَ ولا أين انحدر ، أو كالأرضِ يذهبُ شجرٌ ويأتي شجر . فلا تذكرُ ما غاب ولا تشعرُ بما حضر

---

(١) الممعن المبالغ (٢) مبالغة في القديم والحديث (٣) الآرام جمع رئم وهو الظبي الخالص البياض (٤) زق الطائر فرخه أطعمه بمنقاره
(٥) إشارة الى سجنه تحت الضلوع من يوم الميلاد الى يوم الوفاة

شاهد الزور

ياشاهدَ الزُّور ، أنت شرٌّ مَوْزور[1] ، ضلَّلْتَ القضاة ، وحلَفْتَ كاذبًا بالله ، ونِلْتَ الأبْرِياءَ بأذاة[2] ، وحلْتَ بين القِصَاص والجُناة ، والله يَقولُ : « وَلَكُمْ في القِصَاص حياة »

---

(١) الموزور الذي يحمل الاثم (٢) المكروه

الصبر

بعضُ الصبرِ تجلُّد، وثَمَّ الحزْمُ والرِّضاء؛ وبعضٌ تبلد[1]، وهنا العَجْزُ والاستِخْذاء[2]. ليس الصبرُ غِلْظَةَ القلْب، وبلادةَ اللب؛ أو الجهلَ على الأقدار، وإنكارَ الايراد عليها والاصْدار؛ ولا هو اكتظاظ الأندية[3]، وألفاظٌ تجري بالتعزية، ورجلٌ يُحدِّثك بالصَّبر، وإذا أُصيبَ تمنَّى القبر. إنما الصبرُ استِرْجاعُك[4] في النفسِ الحَزينة، حتى تَفيءَ[5] الى السكينة، وتجيءَ[6] من نفسِها إلى الطَّمأْنينة. إيمانٌ يَزَع[7]، عند الجَزَع؛ وعقلٌ يَزِن، إذا القلبُ حَزِن؛ ومقابلةُ الأحكام بالحِكْمة، والعلمُ بأن النِّعمة، نَذير النِّقمة، وبأن الدَّهرَ حالتان، والدنيا حُلَّتان؛ وأن من لم يَنتفِعْ بالضّجَرِ رَضِي، وأن لكلٍّ شيءٍ غايةً ويَنقضي

---

(١) التبلد الحيرة والتلهف (٢) الاستخذاء الخضوع (٣) امتلاء المجامع بأخلاط المعزين (٤) قولك « إنا لله وإنا اليه راجعون » (٥) ترجع (٦) تلتجيء (٧) يمنع من الحزن

شهادة الدراسة

وشهادة الحياة

ما بالُ النَّاشيءِ وصلَ اجتهادَه ، حتى حَصَلَ على الشَّهادَة . فلما كَحلَ بِأحرُفِها عينَيْه ، وظفِرَتْ بزُخرُفِها كِلتا يديْه ، هَجَرَ العلمَ ورُبوعَه ، وبَعَثَ إلى معاهِدِه بأُقْطوعة[1] ، طَوَى الدَّفاتِرَ ، وتركَ المحابِرَ ، وذهب يُخَايِلُ[2] ويفاخِرُ ، ويَدَّعي عِلْمَ الاوَّلِ والآخِرِ ؟

فمن ينبيه[3] ، باركَ اللهُ فيه ، لأبيه ، وجزى سَعْيَ مُعلِّمِهِ ومُربِّيه : أن الشَّهادةَ طَرَفُ السَّبب[4] ، وفاتِحة الطَّلب ، والجواز[5] إلى أقطار العلمِ والأدب . وأن العلمَ لا يُملكُ بالصُّكوك والرِّقاع[6] ، وأن المعرفة عند الثِّقات غيرُ وثائق الاقطاع[7] . ومنْ يقولُ له أرشدَهُ الله : إن شهاةَ المَدرسةِ غيرُ شهادةِ الحياة ؟

---

(١) الأقطوعة شيء تبعث به الجارية الى الأخرى علامة المقاطعة والخصام
(٢) خايل زميله باراه وفاخره (٣) أي يخبره (٤) السبب هو الحبل وطرف السبب يراد به مبدأ الحياة (٥) الجواز علامة المرور وصك المسافر
(٦) الصك الكتاب والجمع صكوك . والرقاع جمع رقعة وهي القطعة المكتوبة من الورق (٧) الاقطاع أن يجعل الأمير غلة البلد للجند

فيا ناشِىءَ القومِ بلغْتَ الشباب ، ودفَعْتَ على الحياة الباب . فهل تأهَّبتَ للمَعمَعة [١] ، وجهَّزْتَ النفسَ للموقِعَة ، ووطَّنْتَها [٢] على الضيق بعد السَّعة ، وعلى شظَفِ العيشِ بعد الدَّعة ؟ دعتِ الحياة نزالِ [٣] ، فهلُمَّ اقتحِم المجال ، وتورَّد [٤] القتال ، أعانك الله على الحياة ، إنها حَرْبُ فُجاءات وغَدرٌ وبيَات [٥] ، وخداعٌ من النـاس ومن الحادثات . فطُوبى [٦] لِمنْ شهدَها كامل الادوات ، موفورَ المُعدَّات ؛ سلاحه ، صلاحه ؛ وتِرْسُه ، دَرْسُه ؛ ويَلَبُه [٧] ، أدبُه ؛ وصَمْصامتُه [٨] استقامته ؛ وكِنانتُه [٩] أمانته ؛ وحَرْبته ، دربته [١٠]

---

(١) المعمعة صوت الابطال في الحرب (٢) وطن نفسه على الأمر وله مهدها لفعله وحملها عليه (٣) اسم فعل امر بمعنى انزل (٤) تورد الماء ورده (٥) البيات الايقاع بالعدو ليلاً (٦) شجرة في الجنة كما يقال . وهي الجنة عند الهنود (٧) اليلب الدروع اليمانية (٨) الصمصام والصمصامة السيف الذي لاينثنى (٩) الكنانة جعبة السهام (١٠) الدربة الاختبار والتجربة

الحياة

القَبَس [1] ، والنَّفَس ، والرُّوحُ القُدُس . ظاهِرُها هذه الجيفة [2] ، وباطِنُها النفسُ الشريفة . تَبِعَةُ الذَّنْبِ القديم [3] ، وأثرَ آدمَ على الأديم [4] . فياطريدَ القَدَر [5] ، ونَفِيَّ الحُظُر [6] ، وأبا البَشَر ، ما أطْوَل ذَماءَك [7] ، وأدْوَمَ ماءَك ، وما أكثرَ بناتِكَ وأبْناءَك ، وأقلَّ اهتمامَك بهم واعتناءَك ! وَلدْتَ للموْت، وأوجدْت للفوْت . تَقَسَّمَ القَبَسُ نُفوساً بلا عَدَد . وتفرَّق النَّفَسُ في شتَّى الوَلَد . فليت شِعري كيف استقلَّهما صَلْصَالُك [8] ، وكيف قوِيَتْ عليهما أوْصالك [9] ؟ آمَنَّا بأنك الجَدّ ، فهل لهذا التدَفُّقِ حدّ ، أم ما لامر الله مَرَدّ ؟

الحياةُ كعهدِكَ بها مَعْصية ، عن الحظيرة مُقْصية . وخلْوَة ،

---

(1) شعلة تؤخذ من معظم النار (2) المراد بالجيفة الجسم الذي لايلبث أن يموت حتى يجيف (3) ذنب آدم يوم أكل في الجنة من الشجرة التي نهى عن أكل ثمرها (4) الأديم وجه الارض (5) الخطاب لآدم (6) النفي ما جفأت به القدر عند الغليان والحظر جمع حظيرة والمراد بها هنا الجنة (7) الذماء بقية النفس (8) استقل الشيء حمله والصلصال الطين الحر خلط بالرمل (9) الاوصال الأعضاء

حلوة ، عواقبها نَغَص[1] ، ومَشارِبُها غُصَص . أفعى خدَّاعة ، ولذّة لَذّاعة . شوك بغَضّ الوَرد ، وقذًى نغّصَ الوِرد[2] . أمورٌ شتى الأعنّة ، وحوادثُ وُقّعٌ وأجنّة[3] . فقل لمن أطال التفكير ، وبالغ في النّكير[4] ، وكدّ بالَه ، ومدّ بِلْبَالَه[5] ، واحترق احتراقَ الذبالة :

خلّ اهتمامَك ناحية   وخُذِ الحياةَ كما هيه :

---

(١) نغص الرجل نغصاً لم يتم مراده فهو قلق حزين (٢) الوِرد الاشراف على الماء للاستقاء (٣) الوقع جمع واقع وهو الحاصل والأجنة جمع جنين وهو المستور من كل شيء (٤) النكير الانكار (٥) البلبال الهم ووسواس الصدور

الحياة أيضاً

أحقٌّ أنها هيَ الدَّمُ حتى يَجمُد ؟ وأنها هي الحرارة حتى تبرد ؟ وأنها هي الحَرَكة حتى يَقطعهَا السُّكون ، وأنها هي الجاران[1] حتى تفرَّقَ بينهما المَنون ؟

الحق أن افتئاتَ[2] الفلسفة ، على ضنائن[3] الله سفَه . وأن عِلمَ الحياةِ عند الذي يَهَبُها ويَستردُّها ، والذي يقصِرُها[4] ويمدُّها ، والذي يُخلِقُها[5] ويَستجدُّها ، والذي كلُّ حيّ سواه يموت ، وكلُّ شيء ما خلاه يفوت

---

(١) الجاران الروح والجسد والمتنبي يقول : ومفترق جاران دارهما العمر (٢) افتأت عليه اختلق عليه الباطل (٣) ضنائن الله عز وجل ما اختص ذاته بعلمه من الامور (٤) قصر الشيء يقصره جعله قصيراً (٥) يبليها

الحياة أيضاً

ماذا أقولُ في ابنة الموْتِ وأُمِّه ، وعِلَّةِ حُكْمِه ، ونَبْعةِ[1] سَهْمِهِ ، ومَنْقَعَة[2] سُمِّه ؟ وكيفَ القَولُ في صاحِبة[3] ، لم تُملَكْ عن خِطْبَة[4] ، ولم يُبْنَ بها[5] عن رغبة ، ولم تَبِنْ[6] لملال صُحْبَة ، أو بِغْضَةٍ[7] بعد محبَّة ، تسيء ولا تفرَكُ[8] ، ولولا الموت لم تُتْرَك ؟

---

(١) النبعة القوس (٢) منقعة السم الاناء الذي يوضع فيه (٣) المراد بالصاحبة هنا الزوجة والمقصود بها الحياة . وقد شبه المؤلف الجسم والروح في هذه الجملة وما بعدها ، ثم مضى في التشبيه يبين وجوه الخلاف (٤) اي لم تزوج للجسم بعد طلب يدها كالعادة في كل زواج (٥) بنى الرجل على أهله زفت اليه (٦) بانت المرأة عن الرجل انفصلت عنه بطلاق (٧) البغضة شدة البغض (٨) أى لا تبغض والفرك خاص ببغضة الزوجين

اللسان

مضغة [1] لحم ، في عظم ، سمّاها الناس اللسان ، وعظموها لفضيلة البيان ، فقوّموها بنصف الانسان . عضلٌ نبت من الحُلقوم وقناته ، وثبت في أصل لهاته [2] ، ولبث في السجن ظِمْءَ [3] حياته ، لا يتحرك منه سوى شباته [4] . رسولُ العقل ، في النقل ؛ وأداة الدماغ ، في البلاغ ، وترجمانُ النفس في رواية العاطفة ، وحكاية الصحو والعاصفة . الوحيُ على عذباته [5] ظهر ، ومن جنباته انحدر ، فكان أول من سفر [6] ، بين الخالق وبين البشر ، ثم فجّر بالحكمة فانفجر ، ثم علم الشعر فشعر ، فسبحان الذي خلقه ، وعلقه ، والذي قيّده وأطلقه ، والذي أسكته وأنطقه ، والذي يميته فيندثر ، والذي هو على بعثه مقتدر

---

(١) المضغة القطعة (٢) اللهاة اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم أو ما بين منقطع أصل اللسان الى منقطع القلب من أعلى الفم (٣) ظمء الحياة من الولادة الى وقت الموت (٤) الشباة الطرف (٥) العذبات الأطراف من كل شيء (٦) سفر الرجل خرج الى السفر

البيان

رَحيقُ النبيين [1] ، وإبريقُ العَبقريين [2] ، وحظُّ المرزوقين ، ونصيبُ المُوَفَّقين ، وذَرا الجمال [3] ، وذُرا الكمال [4] ، والتوفيقُ الذي لا يُنال ، بسلطانٍ ولا مال ، والخُلْدُ [5] الذي يُؤخَذُ باليمين وغيرُه يُؤخَذُ بالشِّمال . صديقُ البَشريَّة ، وعَدُوُّ الجَبَريَّة [6] . حادى الانسانيَّة ، السائقُ بالمطيَّة ، حتى تَبلُغَ الطِّيَّة [7] ، يمرُّ بها على الخير ورُبوعِه ، والبرِّ ويَنبوعِه ، ويُقبِلُ بها على الحقِّ وقبيلِه [8] ، ويَعدِلُها إلى العَدْل وسبيلِه ، ويُلِمُّ بها على الجمالِ ومَغْنَاه ، وغُرَفِ لفظِه تحتَ حور معناه [9] ، ويلِجُ بها على العَواطف ، حنايا الضُّلوعِ اللَّواطف [10] .
وهو المَلِكُ على كلِّ اللُّغات ، قد انتظَمَ سُلطانُه أقطارَ البَلاغات ، إذا

---

(١) الرحيق الخمر وقد شبه بها المؤلف بلاغة الأنبياء بجامع التأثير فى كلٍّ ، هذا فى العقول وهذه فى الأرواح (٢) أي الإبريق الذي يشرب منه العبقريون فيمطرون الناس روائع الحكمة وفصل الخطاب (٣) الذَّرا الملجأ (٤) الذُّرا جمع ذروة وهي القمة (٥) دوام البقاء والمقصود به هنا الذكر الخالد (٦) الجبروت (٧) الجهة التي إليها تطوى البلاد (٨) القبيل الجماعة من أقوام شتى (٩) يقال هذا البيت تحت ساكنه فلان وعلى هذا القياس يكون اللفظ تحت معناه (١٠) اللواطف من الأضلاع ما دنا من الصدر

انتقلَ من لِسان إلى لسان ، فى أمانةٍ من الناقل وإحسان ، أسْرَعَ فى مُضاهَاته [(١)] ، وتمكَّنَ فى جهاتِه ، تمكُّنَ اللسانِ من لَهاتِه [(٢)] ؛ فكأنه التغريدُ أو البغام [(٣)] ، أو منطِقُ الأنْعام ، ترجعُ له الأممُ وإن ذهبَتْ كلُّ أمةٍ بكلام

---

(١) أى أسرع فى مشاكلة اللسان المنقول إليه (٢) اللهاة اللحمة المشرفة على الحلق فى أقصى سقف الفم (٣) البغام صوت الظبية

المال

يا مالُ : الدُّنيا أنْت ، والناس حيثُ كُنْت ، سَحَرْت القرون ، وسَخِرْتَ من قارون ، وسَعَرْتَ النارَ يا نيرون [1] ، تَعَوَّدَ الحقدُ أن يحالفَك ، وأبى الحسدُ أن يُخالِفَك ، وكَتِبَ على الشرِّ أن يخالطَكَ ويؤالفَك. الفتنة إن حرَّكتها اتقدت، وإن تركتها رَقَدَتْ ، والحرب وهى الحرَب [2] ، تبعَثَها ذاتَ لَهَب، منك الرِّياحُ ومنك الحطب. تزرى بالكرام، وتُغرى بالحرام ، وتضْرى [3] بالاجْرام . فقدانك العُرُّ [4] والضُّر ، ونكَدُ الدُّنيا على الُحر . حالك وحال الناسِ عَجَب ، تملِكهم من المهْد ، ويقولون أصَبْنا وملَكنا ، وتَرِثُهُم عند اللَّحد ، ويقولون ورثْنا وتركنا ؛ من عاشَ قوَّموه بما مَلَك ، ومن هلَك ، تساءلوا : كم ترَك ؟ المحروم من أوْثقَك ، والضَّائع من أطْلَقَك ، وهما فقيران من جَمَعَك ومن فرَّقك . كثيرُك همّ ، وقليلك غم . ومع التوسُّط الخوفُ والطَّمَع ، والحِرْص والجشَع . حذرَ النفاد ، ورَغْبةً في الازدياد . الملَكُ

---

(١) سعر النار أوقدها ونيرون قيصر من قياصرة الرومان أشعل النار في روما ، وأشرف عليها من جبل ليبتهج بمنظر الحريق ، وقد ضرب به المثل من هذا اليوم فى القسوة والطغيان (٢) الحرب الهلاك (٣) أضرى فلاناً بالشر أغراه به (٤) العر الجرَب

سُوقَةٌ إذا نزل إليك ، والسُّوقَة مَلِكٌ إذا عَلَا عليك . أرخَصْتَ الجَمال ، ونَقَصْتَ الكَمال ، وخطَبْتَ لِهُجن الرِّجالِ هِجانَ ربَّاتِ الحِجَال[1] . صوَيْحِباتك هُنَّ المفَضَّلات ، وغَيْرُهن المتروكات المُعَضَّلات[2] . العُريان من ليْس دُونَكَ منه سترة ، والمستضْعَفُ من ليس له منك قدْرة . فسبحانَ من قهَر بك الخَلْق ، وقَهركَ برجال الخُلُق

---

(١) هجن جمع هجين وهو اللئيم والهجان من كل شيء خياره

(٢) عضل المرأة حبسها عن الزواج

الأهرام

ما أنتِ يا أهْرام ؟ ؟ أشواهِقُ أجرام[1] ، أم شواهِدُ إجرام[2] ؟ وأوْضاحُ معَالِم[3] ، أم أشْباحُ مَظَالِم ؟ وجلائلُ أبْنِيَة وآثار ، أم دَلائلُ أنانيةٍ واستِئثار[4] ؟ وتمثالٌ منُصَبٌ من الجَبرِية[5] ، أم مِثالُ ضاحٍ[6] من العَبقَرية ؟ يا كليلَ البصر ، عن مواضعِ العِبَر ، قليلُ البَصَر[7] بمواقعِ الآياتِ الكُبَر : قِفْ ناجِ الأحجارَ الدَّوارس ، وتعلَّمْ فان الآثارَ مَدارس . هذه الحجارة حجورٌ لَعِبَ عليها الأُوَل ، وهذا الصفَّاحُ صَفائحُ مَمَالِكَ ودُوَل[8] . وذلك الرُّكامُ[9] من الرِّمال ، غُبَارُ أَحْداجٍ[10] وأَحمْال ، من كلِّ رَكبٍ ألمَّ ثمَّ مال[11] ،

---

(١) الأجرام الأجسام والشواهق المرتفعة (٢) يشير المؤلف إلى ما ارتكب بانوها من ظلم وإرهاق وتسخير (٣) الأوضاح الغرر ، والمعالم ما يستدل بها على الطريق من آثار (٤) استأثر بالشيء على غيره استبد به وخص به نفسه (٥) الجبروت (٦) الضاحي هنا بمعنى البارز (٧) البصر العلم (٨) الصفاح الحجارة العريضة والصفائح حجارة عراض رقاق تسقف بها القبور ، والمراد بها هنا نفس القبور من تسمية الكل باسم جزئه (٩) الركام المتراكم (١٠) الأحداج جمع حدج وهو الحمل أو مركب من مراكب النساء (١١) الركب ركاب الخيل والابل وألم بالقوم زارهم زيارة قصيرة وفي أجراء هذه الفقرة استعارة شبهت فيها كل دولة بركب لا يلبث أن يحط حتى يشد الرحال ، وشبهت الرمال فى أرض الأهرام بما يتخلف عن أحمال هذا الركب من غبار ، ولا يخفى ما فى الفقرة بأكملها من مراعاة النظير

في هذا الحَرَمِ درجَ عيسى صبياً [١] ، ومن هذا الهَرَمِ خرجَ موسى نبيًّا ، وفي هـذه الهالَةِ طلعَ يوسفُ كالقمرِ وضيًّا [٢] ، ووقعتْ بين يديه الكواكِبُ جِثيًّا [٣] . وههنا جلالُ الخُلْق وثبوتُه ، ونفاذ العقل وجبَروتُه ، ومَطالِع الفنّ وبيوته ، وههنا تتعلمُ أنّ حُسْنَ الثناء ، مرهونٌ باحسان البنَاء

---

(١) يشير المؤلف إلى المدة التي أقامها السيد المسيح مع أمه وهو طفل في المكان الذي يطلق عليه الآن « شجرة مريم » (بمطرية الزيتون)

(٢) الوضي الوضيء وهو الحسن النظيف (٣) جثياً جمع جاث وهو الجالسُ على ركبتيه وهنا اشارة إلى حلم يوسف عليه السلام : « يا أبت إني رأيت أحدَ عشرَ كوكباً والشمسَ والقمرَ رأيتهم لي ساجدين »

الأمس

أمس ، ما أمس ؟ خطوة إلى الرَّمس[1] . خرزة هوَتْ عن السِّلك ، أغلى من خرَزَاتِ المُلْك[2] . صحيفةٌ طويت والصحفُ قلائل ، من كتابِ العمر الزائل ، ثُلمةٌ[3] في الجدار ، وهَتْ لها الدار ، وأنت غير دار . جزءٌ من عمرك حضرتَ وفاتَه ، وقبَرْتَ بيدك رُفاتَه[4] ، لم ترقْ عليه عبرة ولم تشيِّعه بالتفاتة . وهو القاعِدةُ[5] التي يُبْنى عليها العُمُر ، والحَبُّ الذى ينبتُ عليه الشجر ، ويخرج منه الثمر ، وهو الخبَر والأثر ، والكتب والسِّيَر ، والأُسى[6] والعِبر . وهو أبو يومك ، والولدُ سر أبيه ، وجدُّ غدك ، فاجعله النبيلَ في الجدودِ النبيه

---

(١) الرمس القبر مستوياً مع وجه الأرض (٢) خرزات الملك جواهر تاجه (٣) الثلمة فى الجدار الخلل (٤) الرفات الحطام (٥) قاعدة البيت أساسه (٦) الأسى جمع أسوة وهي ما يتعزى به الحزين

اليَومُ

طلعتِ الشمس، ونُفِضَتْ الخَمْس [1]، من تراب أمس، وانصرف بنو الأيام من الجنازة، وقد هان عليهم اليومُ الراحل، كما هان على المسافر مَطْوِيُّ [2] المراحل. فلا العَبرةَ أراقوا، ولا على العِبْرة أَفاقوا. شغلَتْهم دُنياهم وأمِنوا مناياهم، وألهاهُمْ هواهم، فهلكوا دون مناهم، فسبحان الذي ألهى بالأمل، وشغَل بالعمل، واستنهض الإنسان لأعباء اليوم يحمل، والذي جعل الأمس أحاديث، ومواريث، وجعلَ اليومَ مجال الناهض الناهز [3] وجعل غداً يوم العاجز. فيا ابن الأيام لا تعقِدْ مناحة الأَمس، ولا تقعُدْ تحرس الرمس، ولا تُفسد شُغْل اليوم بالإرجاء [4] ولا تُلْقِ على غدٍ كلّ الرجاء، واعمل في يومك ما أمكنَ العمل، وتمتّعْ به ما تَسَنّى التمتع، فما تعلم ما قُدّامك من عوائق، ولا ما دونك من بوائق [5]، وما تدري: أعوامٌ حياتُك أم دقائق؟

---

(١) الخمس أصابع اليد (٢) طوى المرحلة قطعها (٣) الناهز الذى يغتنم الفرص (٤) التأخير (٥) البوائق المصائب

الغد

غيوبٌ محجوبة ، وحُجُبٌ مضروبة ، وأقدارٌ مكتوبة . أعمارٌ موهوبة ، أو منهوبة . وأرزاقٌ مجلوبة ، أو مسلوبة . بريدُ المَلِكِ القهار ، موعدُه حواشي الأسحار [١] ، أو غُرةُ [٢] النهار . حملتِ الفجاءاتِ نجائبُه [٣] ، واشتملت على المستجدات حقائبه [٤] ، وبلغت مُستقرَّها مغرِّباتُه [٥] وجوائبُه [٦] . أقبل ففضَّ المختوم ، وظهر المكتوم ، وانفجر المحتوم ، وإذا مناعٍ وبشائر ، وإذا دَوْلاتٌ [٧] ودوائرُ [٨] . واعلم يا ابن الأيام أن الغد أعدَّه الله لك خيرَ ما أعدَّه ، ومدَّه لك أيْمَنَ [٩] ما مده . هو الشخص الثالث، في رواية الأيام والحوادث [١٠] ، والخلفُ من صاحبيه والوارث ، وهو معقدُ [١١] الآمال ، وموعد

---

(١) السحر قبيل الصبح (٢) غرة النهار أوله (٣) النجائب جمع نجيبة يقال ناقة نجيبة أي كريمة الأصل (٤) الحقائب جمع حقيبة وهي خريطة يعلقها المسافر في الرحل للزاد ونحوه (٥) و (٦) المغربات الاخبار الطارئة والجوائب كذلك (٧) دولات الأيام انقلابها من حال الى حال (٨) الدوائر الدواهي (٩) أيمن من اليمن وهو البركة (١٠) شبه الحياة برواية أبطالها ثلاثة : الامس واليوم والغد (١١) معقد الآمال موضع انعقادها

استئناف الاعمال ، ومرمى همة[1] المال ، تنام الأنفس وفي إيمانها منه شك ، وفي أيمانها منه صك[2] ، فاعمل له ما استطعت ، وانتظره أتى أم لم يأت ، وقل سبحان الذي أتى به ، والذي هو قادر على طي كتابه . يوم يأتيه أمره فلا يبرز من حجابه

(١) يريد بهمة المال فوائده (٢) الصك كتاب الاقرار بالمال ونحوه يريد أنه واثق بقدومه

المسجد الحرام

الساحةُ الكُبرى ، والدار اللموم [1] ، والمَوْسِم الحاشر [2] . المُنْتَدى والمُؤتمر، ومَثابَةُ الزُّمَر [3] ، إبْرَةُ المُبْحِر، ونَجْمُ المُصحِر [4] . قِبْلَة البَدَوِيّ في قَفْرِه ، ووِجهةُ القَرَوِيّ في كَفْره [5] . حَرَمُ اللهِ المُطهَّر، وبَيتُهُ العتيقُ المُستَر [6] ، الذي وَجَّهَ إليه الوُجوه، وفَرَضَ على عبادِه أن يحجُّوه ، نظرَتْ إليه المساجِدُ في كلّ خَمْس [7] ، وقامَتْ إليه قيامَ الحِرْبَاء [8] إلى الشَّمس . بناهُ الله بمكّةَ على فضاء زكيّ لم يتنفَّسْ فيه الناس [9] ، وخلا إلا من جُحرٍ أو كِناس [10] ، فلا الدُّنيا

---

(١) اللموم التي تجمع الناس (٢) الحاشر الجامع (٣) المثاب مجتمع الناس بعد تفرقهم ومنه المثابة . قال تعالى « وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً » والزمر الافواج المتفرقة بعضها في إثر بعض (٤) المبحر راكب البحر والمصحر المسافر في الصحراء ، وعادة المبحر أن يهتدي إلى سبيله ببيت الابرة (البوصلة) ، وعادة المصحر أن يهتدي الى غايته بالنجوم وقد شبه المسجد الحرام بالابرة والنجم بجامع هداية السائر الحائر فيهما (٥) الكفر القرية (٦) المستر المغطي بالأستار (٧) الخمس هنا الصلوات (٨) الحرباء حيوان يستقبل الشمس ويدور معها ويتلون بلونها (٩) الفضاء الزكي الصالح وتنفس الناس كناية عن وجودهم (١٠) الكناس بيت الظبي في الشجر

سحَبَتْ عليه غرورَها ، ولا النفوسُ نَقَلَتْ فيه شُرورها ، ولا الحياة أزَارَتْهُ باطِلها وزُورَها . لو شاءَ اللهُ لبنَى بيتَهُ بمصرَ على نَهرٍ فيَّاض ، ووادٍ كلُّهُ قِطَعُ الرِّياض ، ولو شاء الله لاتَّخذَ بيتَهُ بالشام بين الجَداوِلِ المُظلَّلَة ، والرُّبَى المُكلَّلة [1] والغصونِ المُهدَّلة ، والقُطُوف المُذَلَّلَة [2] . ولو شاءَ اللهُ جلَّتْ قُدْرَتُهُ لرفَع بيتَهُ على أُنوفِ الجبابِرَة ، مَلوكِ الأعصرِ الغابرة ، وفوقَ هامِ آلِهَتِهِمْ وهى مُهدَّةٌ مُنضَّدَة [3] ، فى الغُرَفِ المُشيَّدَة ، والقِبابِ المُمَرَّدَة [4] ، ولكنه تعالى نظر إلى أُمِّ القُرى [5] ، فرأى بها ذُلاًّ لِعزِّ سُلطانِه ، وافتقاراً إلى غناهُ وإحسانِه ، ورأى خُشوعاً يستأنِسُ به الايمان ، وتَجرُّداً تسكنُ إليه العِبادَة . ورأى انفراداً يجرى فى معنى التَّوحيد ، فأمرَ إبراهيمَ حَوارِيَّه [6] ، ونبيَّه ، وخليلَه وصَفيَّه ، أن يرفع بذلك الوادي رُكنَ بَنِيَّته [7] ، وينصُبَ بين شِعابِه [8] مَنارَ وجدانيَّتِه ، بُنيانٌ قامَ بالضَّعْفِ والقوَّة ، [9] ونَهضَ على كاهِلِ الكُهولةِ وساعدِ الفُتوَّة ، واشتركت

---

(١) الربى الاراضى المرتفعة والمكللة المتوجة والمراد أنها متوجة بالزهر والاعشاب (٢) القطوف الثمار والمذللة المدلاة ومنه قوله تعالى « وذللت قطوفها تذليلا » (٣) الهام الرءوس والمنضدة المتراصفة والمراد بالآلهة هنا الأصنام (٤) الممرّدة الطويلة الملساء (٥) مكة المكرمة (٦) الحواري الرسول (٧) البنية الكعبة (٨) الشعاب الطرق (٩) ضعف الكهولة وقوة الشباب الماثلان فى إبراهيم وإسمعيل

فيه الأبُوَّة والبُنُوَّة ، فكنتَ ترى إبراهيم يزاول[1] ، وإسماعيل بينَ يديهِ يُناول ، حتى بنيا حقّاً أعْيَا المعاول ، وَعجزَ عنه الذي دمَّرَ تَدْمُرَ وأبلى بابل[2] . فانظُر الى صُفَّاحِ البَاطلِ كيف باد ، وإلى آجُرِّ الحقِّ كيف أفنَى الآباد ، وتأمَّلْ عجائِبَ صُنْع النيَّة ، وكيف ظَفِرتْ لبِنَةُ[4] التوحيدِ بصَخْرةِ الوَثنِيَّة ، بُنِيَ البيتُ وإذا الجلال حُجُبُهُ وأستارُه ، والحقُّ حائِطُه وجدَارُه ، والتَّوحيدُ مَظْهرُه ومَنارُه ، والنَّبيُّون بُنَاتُه وعُمَّارُه[5] ، والله عزَّ وجلَّ ربُّه وجارُه . اطَّلعتْ به « صلاح »[6] ، اطِّلاعَ المشكاةِ[7] بالمصباح ، فزَهَرَ فأضاء البراح ، وانتظمَ الهِضابَ والبِطَاح ، أَضْوأَ من الشمس ذبالَة ، وأَبْهرُ من القمر هالَة ، في منازلِ الشرفِ والجَلالَة . قد حازَ اللهُ له من نباهة الذِّكرِ ، وفخامةِ الشَّأْن ، مالم يَحُزْ لِقَديمٍ من معالمِ الحقِّ ولا حديث ـ بِرُّ العِبادة ، وفضيلةُ الحج ، وشرف البانى ، ورَوْعةُ العِتْق ، وجَلالةُ التاريخ . يقول الغُوَاة : لو كانتِ الكعبةُ من ذهبٍ أو فضَّةَ ويقولون : لو كانتْ كبِيَعِ النَّصارَى في عواصِمِ الغَرْب ، رفعةَ بناء ،

---

(١) زاول الشيء عالجه (٢) تدمر قلعة مشهورة وبابل بلد بالعراق ينسب إليه السحر والخمر . والذي أهلك تدمر وأبلى بابل هو الدهر (٣) الصفاح الحجر العريض والآجر ما يبني به وهو المعروف بالطوب) (٤) اللبنة ما يضرب من الطين للبناء (٥) العمار السكان (٦) لقب من ألقاب مكة المكرمة (٧) المشكاة الطاقة

وديباجةَ فن ، ووشيَ زُخرُف ! . وأقولُ للغُواة : لو تُرِكَتْ الكعبة على فِطرِتِها الأُولَى ، فلم يطوّلْ بِناؤها ، ولم تُزيّنْ بالذهب أجْزاؤها ، ولم تتعدّدْ فى الزُّخرُف أشياؤها ، لكانَ بعبقريّتِها أليق ، وبرُوحانِيَّتِها أشبه وأخلق ، وفى تقدير قُدُسِها [1] غاية ونهاية

---

(١) القدس الطهر

الشهادة

قصيدةٌ عُلْويَّةُ الرَّوِيّ ، مطلَعُها اللهُ ومقطعُها النبيّ . كلمةٌ هي الدِّين ، وهي كُنْهُ[1] اليقين ، وهي الحقُّ المُبين . أرسلَها الأذان سمْحةً سهلة ، فقرَّت في الأذهان أوَّلَ وَهْلة . ولِمَ لا ؟ وهي الحقيقةُ العريانة ، والصبحُ الذي عرَضَ عِيانَه[2] ، فكفى العُيونَ بُرهانَه وبيانَه . كانت شعار[3] الدَّاخلِ في الدِّين الجديد ، وجوازَ[4] الخارج إلى أقطار التَّوحيد ، ولم تَزَلْ مُقدِّمةَ الكتاب ، وفاتحةَ الخطاب ، ومفتاحَ الباب ، وحافَةَ الغاب[5] . إذْنٌ سهل ، وحجابٌ سَمْح ، وساحة فَضْل لا تحجُبُ مستأذِنا ، ولا تتصعَّبُ على مُعالج ، ولا تضيقُ بنزيل ، ومن عبقريَّةِ الشَّهادة — أماتنا اللهُ وإياكَ عليها — أن حُسْنَ الظنِّ بالله طالما أوقعَ في نفوسِ الجماعاتِ أنها أفضلُ عملِ العبدِ عند ربِّه ، وأنها ربما قامتْ مقامَ الأداء عن سائر الفرائض ، حتى فرَّط المفرِّطون ، وهُمْ عليها يتَّكِلون ، وتكثَّرَ من الخطايا المُذنِبون ، وهم

---

(١) الكنه الاصل والغاية (٢) العيان الشخص (٣) الشعار ما يعرف عند المولدين (بسر الليل) (٤) الجواز صك المسافر (٥) الحافة الجانب والمراد بالغاب هنا مأوى الحق والتوحيد

يرجُونَ عندها النجاةَ ويأملون . إذا حضرَ الموتَ هوّنتْ لِقاءَه ، وقلّلَتْ هَوْلَ ما وراءَه ، وجعلَها الخائفُ أمْنَه ورجاءَه ، والقليلُ العَزاء أُسْوَتَهُ (١) وعَزاءَه . وقدّمَها المُقلُّ (٢) بين يديهِ عملاً يرجو جزاءَه

---

(١) الاسوة ما يتعزى به الحزين (٢) قليل الحسنات والصالحات

الصَّلاة

(١) الطهارة :

كمالُ أدبِ الصلاة ، وتمام الخدمة والتعظيم لله ، عند توجُّه العبدِ إلى مولاه . شُرِعَتْ وسيلة ، وسنَّةً جميلة ، وصالحةً وفضيلة . حُكْمُ حِكمتُهُ لا تَتم ، حتى ينتظمَ النَّفْس والجِسم ، فإن جَمَعْتَ نقاءَ الباطن والظاهر فأنت الذي صلى له[1] وهو طاهر . ولو قصِرت الطهارة على وُجوه تغسَل ، وأرساغٍ[2] تبلَّل ، وثيابٍ تُنَظَّفُ وتُجمَّل ، لكانَ الميْتُ أطهرَ من الحي[3] فيا أصحابَ الوُضوء غسلتمُ الجوارح[4] ، فهل غَسلتمُ الجوانِح ؟ ورَحَضتُمْ[5] الأَطراف ، فهل رَحَضتُم الأَجواف ؟ طهَّرتم الرَّاحَ من الأنجاس[6] ، فهل طهَّرتموها من أشياء الناس ؟ ونظَّفتُمْ من الطُّرقِ[7] الأَقدام ، فهل نظفتموها

---

(١) الهاء ضمير الشان (٢) جمع رسغ وهو المفصل ما بين الساعد والكف (٣) لأن غسل الميت تام وكفنه من ثياب جدد (٤) جمع جارحة وهى العضو المكتسب من أعضاء الانسان (٥) غسلتم (٦) الراح جمع راحة وهى الكف (٧) المراد بالطرق هنا ما يعلق بالقدم من أقذارها

من سُبُل الحرامِ ، ومسالِكِ الإجرامِ ؟ وتلكَ الوجوهُ الممسوحةُ بالماء ، هل ترقرقَ فيها الحياء ؟ وهل نُقِّيت من وضَرِ[1] الرياء ؟

(ب) الصلاة :

لو لم تكنْ رأسَ العبادات ، لعُدَّتْ من صالحة العادات ، رياضةُ أبْدان ، وطهارة أرْدان[2] ، وتهذيبُ وِجْدان ، وشتى فضائلَ يَشُبُّ عليها الجوارِي والوِلدان

أصحابُها هُمُ الصابرون ، والمثابِرون ، وعلى الواجب هُمُ القادرون ، عوّدتْهم البُكور ، وهو مِفتاحُ باب الرزق ، وخيرُ ما يُعالِجُ به العَبْدُ مُناجاةُ الرازق ، وأفضلُ ما يرودُ به المخلوقُ التَّوجُّهُ إلى الخالق .

ولهم إليها بعد البُكورِ رواح ، فإذا هي تصرفُهم عن دواعي الليل ومُغرياته ، وتعصِمُهم فيه من عوادي الفَراغِ ومُغوِياته ، والليلُ خلواتٌ وشهوات ، ويبت الغَوايات

وتجزِئَةُ الوقت مع الصلاةِ ملحوظَة ، وقيمتُه عند الذين يُقيمونها محفوظَة ، عوّدتْهم أن يذكروه ، ويُقَدِّروه ، وأن يسوسوه في أعمالهم ويُدبِّروه ، والوقتُ مِيزان المصالح ، ومِلاكُ الأمور ، ودولابُ[3] الأعمال

---

(١) الوضر الوسخ (٢) الرّدَن الغزل أو الخز والجمع أردان والمراد بها هنا الثياب (٣) الدولاب الآلة الدائرة

انظرْ جلالَ الْجمَع ، وتأمَّلْ أثَرَها في المجتمَعْ ، وكيف ساوَتْ العلْيةَ بالزّمَع [1] ، مسّت الأَرضَ الجِباه ، فالناس أكفاء وأشباه ، الرعيـة والوُلاة ، شرَعٌ [2] فى عتبةِ الله ، خرّ الجمعُ للمناخر ، فالصفُّ الأَوّلُ كالآخر ، لم يرفَع المتصدّر تصدُّرُه ، ولم يضع المتأخِّرَ تأخُّرُه

(١) الزمع الرعاع (٢) أى سواء

الصومُ

حرمانٌ مشروع ، وتأديبٌ بالجوع ، وخشوعٌ لله وخضوع .
لكلٍّ فريضةٍ حكمة ، وهذا الحُكْم ظاهرُه العذابُ وباطنُه الرحمة ،
يستثير الشفقة ، ويحضُّ على الصَّدَقة ، يكسرُ الكِبْر ، ويُعلِّمُ الصبر .
ويَسُنُّ خلال البر ، حتى إذا جاع من ألِفَ الشِّبَع ، وحُرِمَ المُترَفُ
أسبابَ المُتَع ، عرَفَ الحِرمانَ كيف يقع ، والجوعَ كيف ألمُه
إذا لذع

الزكاة

حزبُ[1] الاشتراكية ، وحربُ البلشفيَّة

أَيها الناس :

أمرَ اللهُ فصلّيتم ، ونهى المالُ فما زكّيتم ، فرّقتم بين الخمس[2] وكلها حُكمُ الواحد ، فلكلٍّ ألف مُصلّ مزكٍّ واحد ! استسهلتم فأخذتم ، واستصعبتم فنبذتم ، فلو دخلَ المالُ في الصلاة ، لأقفرت منكم مساجدَ الله ! ولو غُرِّم أحدُكم على الشهادة ، لكان به عن نُطقِها زهادة[3] ! أعلمتم أن الزكاةَ قُروض[4] ؟ وأنها وِقاء الاعراضِ والعُروض[5] ؟ وأنها ليستْ بالعبَثِ المفروض ؟ هي مالُ الفقير خلستموه[6] ، ورزقُ المحرومِ حبستموه ، وحقُّ العاجزِ في الحياةِ بخستموه ، وحُكمُ اللهِ الذي أغناكم قد دُستموه . تُقرِضون[7] الولاة ، ولا تُقرِضون الله ، وتُنفِقون تملقاً لأهلِ الجاه ، ولا تُنفقون تعلقاً بالنجاة

---

(١) الحزب النصير (٢) المراد بالخمس أركان الاسلام (٣) زهد فيه زهادة رغب عنه (٤) القروض جمع قرض وهو ما أسلفت من اساءة أو احسان (٥) الوقاء الدرع والعروض الأمتعة والأعراض مواضع المدح والذم من الانسان (٦) خلس الشيء اخذه مخاتلة (٧) أقرضه أعطاه قرضا

الحج

موكبُ الاسلامِ ومظهره ، ولبابُ حَسبه وجَوْهرُه ، ومَوْسمُه الحرامُ أشهرُه . مهرَجانُه العظيم ، وعُرْسُه الفخيم ، ونَديُّه[1] الكريم ، والنَّظْمُ الذي قَرَنَ فيه الدُّنيا إلى دِينِهِ القويم ، فجعَلَه لها صلاحاً وعِمارة ، ، ومَلأَها بيُمنِهِ نماءً ويسارة[2] ، وأفاض بَرَكاتِه على التِّجارة ؛ وسخَّرها لخدمَتِه ، وإظهارِ دَعْوتِه ، وجَمْعِ كَلمتِه ، وتوْثيق عُروَتِه . فاذا أظَلَّتْ أيامُ الحجِّ المُبارَكات نظرْتَ إلى البلاد فرأيْتَ أسواقاً ماجت ، ومتاجرَ راجَتْ ، ومَطايا من مرابِضها اهتاجَت ، ورأيْتَ الحِجازَ مُهتزَّ المناكب ، يموجُ بالمواكب ، مُفترَّ المباسِم ، في وُجوهِ المواسِم ، أخلَفَهُ الغيثُ[3] فمُطِرَ الذهب ، ويبسَ الزرعُ فطَعِمَ الرُّطَب . أزوادٌ[4] تُعَدّ ، ورحالٌ تشَدّ ، وشُرُعٌ تمَدّ ، وحاجاتٌ تنشأُ وتستجِدّ ، وأُمَمٌ أتَوْا من نواحي البلاد ، يضعون التُّحُفَ المجلوبة ، ويأخذون الأجرَ والمثوبة

---

(١) الندى المجلس (٢) اليسارة الغنى (٣) الغيث المطر وأخلفه لم ينزل به (٤) جمع زاد وهو طعام السفر

فيأيُّها المعتزِمُ حجَّ البيت ، المُشَمِّرُ لأداء الفريضة : لقد أطعتْ، فهل استطعتْ ؟ وأجبتَ فهل تأهَّبْت ؟ وهل علمتَ أن الإسلامَ شِرعةُ السَّماحة ، وأن ربَّ البيتِ واسِعُ الساحة ؟ يُعفِي المريضَ حتى يُعافَى، ويُقِيلُ المُعدِمَ حتى يجِد ، ولا يؤاخذُ أخا الدَّين حتى يقضِيَ دَيْنَه ، ولا يُنْكِرُ على الخائف القرارَ[1] حتى تأمَنَ السبيل ، من وَباءٍ مُهتاج ، أو لصوص قد أخذوا الفِجَاج[2] ، أو حُكومةٍ جائرةٍ تَبتَزُّ الحُجَّاج ؟

كُبْرَى الكبائر أن تلقى اللهَ في بيتِه وبين وَفْدِه بمالٍ خَلَستَهُ من أحدِ اثنين يُحبُّهما اللهُ حبًّا جَما ، اليتيم ، وأنت تعلمُ أن مالَه نار ، وأنه نَحْسُ الدِّرهمِ نحاسِيُّ الدينار[3] ، والفقير ، وقد فرضَ اللهُ له في مالِك حِصَّةً سمَّاها الزَّكاة ، فتغابيْتَ يا مُخادِعَ الله ، وخرجْتَ بها تحُجُّ للتظاهُرِ والمباهاة ، وهل علمتَ أن اللهَ لا يقبلُ منك مالا ونَفَقَةَ المُطَلَّقة ، من مُطْلٍ مُعَلَّقة ، وذو القُربى وراءك جائع ، والولَدُ طريدُ المدارسِ ضائع ، وتِجارتُك مُختَلَّة ، وأماناتُك مُعتَلَّة ، وجارُك الضعيفُ يَضِجُّ من حَيْفِك ، وخصيمُك الأعزَلُ يشكو سَطوةَ سيفِك . فان لم يكن شيء من ذلك أو مما إليه فسِرْ على اسمِ الله ، وحُجَّ بيْتَ الله ، وارجِعْ برِضوانٍ من الله

---

(١) المكث في داره (٢) الفجاج الطرق الواسعة بين الجبال

(٣) المراد بالدرهم النحس انه شؤم على كل من اغتصبه ، والدينار النحاس الذي لا قيمة له لانه حرام والحرام لا يدوم

خطب المساجد

يا مُرشِدَ العابد، ورادَّ الهوَى الشارد: أعلمتَ أيَّ مقامٍ أُقِمت، ولأيِّ بلاءٍ قُدِّمت؟ إنما نُدبتَ للوعظِ والإرشاد، وتعليمِ العِلْيةِ والسَّواد، أدبَ المعاشِ والمَعاد [1]، وخلَفْتَ الخلفاءَ على تلك الأعواد [2]. الآذانُ لك مُرهفَة، والأذهانُ إليك مُتشوِّفة، فماذا عندكَ للأتقياء، من الأغنياء، ولكُلِّ مُموَّل، في الصفِّ الأوَّل، من إشارةٍ إلى الذهب المدَّخَر، والقريبِ الضَّجِر، والوارثِ المنتظِر، وإلى الخيرِ وجمعيَّاتِه، والبرِّ وقضيَّاته؟ وماذا أعدَدْت للتاجر، من الوعظ الزاجر، تحضُّه فيه على الأمانة، وتُحذرُه عواقبَ الخيانة، وتُوصيه بسُمعتِه ضِننا وصِيانة؟ أو ما الذي بذلْتَ للعامل والصانع، من لفظ رائعٍ ووعظٍ جامع، في السُّلوكِ الحَسَن والدَّعوةِ إليه، وإتقانِ العمل والحضِّ عليه؟ وهل ذكرت للعامَّة أن ضربَ النسْوة، ضربٌ من القسوة؟ وأنَّ البغيَ بالطلاق، يمقتُه الدينُ والأخلاق؟ وأنَّ الطفلَ من حقِّه أن يهذَّب، لا أنْ يُضرَبَ ويُعذَّب، وأن

---

(١) المعاد الآخرة (٢) الأعواد الأخشاب والمراد بها هنا المنابر

يُكسَبَ عليه ، لا أن يكسِبَ هو على أبويه ؟[1] وأن التَّيْسَ لو عقِل ما اتَّخذَ نعجتين ، فكيف يتزوّجُ الفقيرُ العاقلُ اثنتين ؟؟ أم أنتَ كما زعموا ببّغاء لم تحفظْ غيرَ صوت ، تردِّدُه إلى الموت ، كلماتٌ محفوظة ، في كلٍّ مكتوبةٍ ملفوظة ، سيفٌ من خشب ، وخطوبٌ في صورة خُطَب ؟!

(١) المراد بهذه الجملة أن الآباء عليهم أن يعملوا حتى يمهدوا لأبنائهم سبيل العيش والحياة ، لا أن ينتظروا السعي من أبنائهم وهم أطفال

الطلاق

أزمةٌ تمنعُ أزمات، وملمةٌ تدفع ملمَّات. دواءٌ ساءَ استعمالُه فصارَ هو الداء. ودرعٌ للتوقّي عادتْ آلة اعتداء. نظمٌ على غيرِ أصولِه متّبَع، عبثَ به الجهلُ حتى انقطع، وضاعت على الشارعِ حكمة ما شرَع. حلالٌ عليه بشاعة الحرام، وحقٌّ يشرَه[1] إليه اللئام، ويُكرَهُ عليه الكرام، منعَ الله به الظلم، رأفةً بكم ورحمة؛ فما بالكم قلبتمُ الحكم، وعكستمُ الحكمة، تختلقون الريَب، وتُطلّقون على غضب، وتُسرّحون بلا سبب؟

أيُّها الناس: إن كان الكتابُ تسمّح[2]، فإن الحديثَ قد لمّح[3]، هبُوا أن الشارعَ أطلقَ الطلاق، اتكالاً على الدين والأخلاق، أليس الموقفُ موقفَ حذر، والمسألة فيها نظر؟ أمرٌ تبعاته على ضمائركم، وسوءُ استعمالِه على سرائرِكم، وفضيحة بعضِكم به واقعةٌ على سائرِكم![4] أولئك أممُ النّصرانيةِ أصحابُ الحضارةِ الحاضرة، حرّمَ الطلاقَ دينهم، ثم حلّلته قوانينهم، ولكنْ في دائرةِ الحق ووُجوهِ الرفق وبإشرافِ قضاةٍ يحمون نُظمَ الزواج من عبَث الخاصة وجهالة العامة

---

(١) شره إلى الطعام وعليه اشتد حرصه عليه (٢) تساهل (٣) يشير إلى الحديث الشريف «إن أبغض الحلال عند الله الطلاق» (٤) اذا انتشرت عادة الطلاق في أمة فليست الفضيحة واقعة على رؤوس المطلقين وحدهم، ولكن الامة مأخوذة بها جميعاً، والسمعة السيئة لا تعرف مذنباً من بريء

البحر الأبيض المتوسط

سيِّدُ الماء ، ومليكُ الدَّأماء[1] ، مهدُ العِلْيةِ القدماء ، دَرَجت الحكمة من لُجِجه[2] ، وخَرَجتِ العبقريَّة من ثبجه[3] ، ونشأَتْ بنـاتَ الشعرِ فى جُزُره وخُلُجه . بدتِ الحقيقة للوجود من يَبَسِهِ ومائه ، وجرَّب ناهضُ الخيال[4] جناحيه بين أرضِهِ وسمائه ، العُلومُ نزلتْ مُهودَها من ثراه ، والفنونُ رَبِيَتْ فى حجال رُباه[5] ، والفلسفة تَرعْرَعَتْ فى ظلِّه وذَراه[6] . (بَنتاءورُ) وُلِدَ على عِبْرِه[7] ، و(هوميرُ) مُهِّدَ بين سَحْرِه ونَحْرِه[8] ، ونحتَ الأَلياذة[9] من صخرِه ، و (هيرودوتُ)[10] دوَّنَ مُتونَهُ على ظهرِه ، و (الإسكَندرُ) إنتهى إليه بِفتحِهِ ونَصْره

---

(۱) الدأماء البحر والمراد به هنا المياه (۲) اللجج جمع لجة وهى معظم الماء (۳) الثبج من كل شيء وسطه ومعظمه (٤) الناهض فرخ الطائر اذا نشر جناحيه وتهيأ للطيران (٥) ربيت الفنون أى نشأت ونمت ، والحجال الخدور ، والربى جمع ربوة وهى ما ارتفع من الارض (٦) الذرا الملجأ (۷) بنتاءور شاعر مصر القديم وعبر البحر شاطئه (۸) هومير أقدم شعراء اليونان والسحر والنحر هما الرئة وموضع القلادة على الصدر (۹) الالياذة ديوان من شعر هومير جمع فيه مفاخر الأبطال القدماء (۱۰) هيرودوت هو المؤرخ المصرى المشهور

الموسيقى دبّتْ فى أحْناء[1] هيا كلِه ، وشبّتْ فى أفياء خمائلِه[2] ، ثم لم يزَلْ بها تَوسُّلُ[3] الرّهبان ، وترتُّلُ الاحبار والكهّان ، حتى جاوزت الحناجرَ إلى المعازف ، فنزلت اليراعَ المطرّبَ[4] والنحاسَ الهاتف[5] ؛ لم تخلُ ثُكْنة[6] من بوق ، أو طبلٍ مدقوق ؛ ولم يخلُ

كوخٌ من يراعٍ مثقوب ، ولا قصرٌ من وترٍ مضروب

وعلى أديم الأبيض المتوسّط مشى المثّالُ الأوّل[7] ، وبحجارتِه وقف فتخيّل ، فلان لبَنانِهِ الحجَر ، ودان لِمنْحاتِه[8] الصخَر ، حتى زيّنَ الزّونَ[9] بالبديع والغريب ، ونثرَ الدُّمَى على المحاريب[10] ، وجاءَ فى الفنّ بالأعاجيب . صنعَ أبا الهوْل ، فجاءَ بالهوْل والزّوْل[11] ؛ كان ذلك حينَ سائرُ المعمور مجاهل ، والناسُ جُهّال ؛ عالَمٌ غافل ، يهيمُ فى أغْفال[12]

---

(١) الاحناء الجوانب (٢) الافياء الظلال والخمائل جمع خميلة وهى مكان يلتف فيه النبات (٣) الترسل الترفق (٤) اليراع القصب الذى يزمر به الراعى والمطرب الذى يرجع الصوت ويحسنه (٥) هتاف النحاس ترجيع الصوت فى أبواقه (٦) الثكنة معسكر الجند (٧) أديم البحر صفحته ، والمثال (بالتشديد) صانع التماثيل ، ولعل المؤلف أول من نبه الى استعمال هذا اللفظ الدفين (٨) المنحات آلة النحت (٩) الزون جمع الأصنام (١٠) الدمى جمع دمية وهى الصورة المزينة أو الصنم المنقوش . والمحراب صدر البيت وأكرم مواضعه والجمع محاريب (١١) الزول العجب (١٢) الاغفال جمع غفل ، والأرض الغفل التى لم ينصب عليها علم ولم تقم عليها عمارة

فيا ناشئ الكنانة :

إذا وقفتَ على لجَّة (الرمل) ، أو نقلَتَ القدمَ على رملة (المكس) ، فى أصيلٍ لذَّتْ حواشيه ، وحلَّى جلبابَهُ بالذَّهب واشيه ، وفضاءٍ اصفرَّ من نَعِيِّ الشمسِ ضاحيه[1] ، وقُرِّبَتْ لها الأكفان من زَعفرانٍ نواحيه[2] ، فتبصَّرْ ! هلْ ترى غيرَ ساحلٍ طيِّبِ البقعة ، وأديمٍ جيِّدِ الرُّقعة ؟ وهل تُحسُّ غيرَ بحرٍ ضاحك الماء ، مُتهلِّلِ السماء ، حُلْوِ بشاشة الفضاء ، يصحبُ الصَّحْوَ ، ويَسحَبُ الزهوَ[3] ، ويلهو وما عرفَ اللهْوَ[4] ، وخريره تسبيحٌ وما هو بلغوٍ[5] ؟

لا بَأْسَ عنده — مُنذُ ماجت أمواجه ، ولجَّتْ لجاجُه[6] ، وهدَرَ عَجَّاجه[7] وأُنشئَ للرياحِ شِراعهُ وساجُه[8] — جِوَارٍ

---

(١) ضاحيه ظاهره وباديه ، ونعى الشمس مجاز يراد به غروبها ، واصفرار الفضاء لنعي الشمس استعارة شبهت فيها الشمس بميت وشبه الفضاء بمن أصيب فيه ، فانتابه من صفرة الروع ما ينتاب الثاكل المرزوء (٢) الأكفان من زعفران كناية عن صفرتها ، ولا يزال المؤلف مستمراً فى مجازه الذى ابتدأه فى الجملة السابقة (٣) الزهو العجب والتخايل (٤) لهو البحر تلاعبه بما على صفحته من السفن (٥) اللغو من الحديث الباطل ، والمراد بتسبيح الخرير ما يلقى فى النفس من أثر اليقين فى صوته العجيب (٦) اللجاج جمع لجة وهى معظم الماء (٧) العجاج من الماء ما سمع له عجيج (٨) الساج شجر عظيم ينبت فى الهند وخشبه رزين اسود لا تكاد الارض تبليه . والمراد به هنا ما يصنع منه من سفين

الأكرمين ، وصُحبةُ المحسنين ، وكَنَفُ السَّماحِ الخيِّرين . فشمسٌ مُتوقِّدَة ، وطبيعةٌ مُتوددَة ، ولجَّةٌ غيرُ متمردة ، وغيرُه من البحار ذميمُ الجِوار ، لئيم النِّجار[1] ، ضبابٌ مُخيِّم ، وسحابٌ مُديِّم[2] ، أعاصيرُ مُرسَلَة ، وصواعِقُ مُنزَلة ، زمنٌ مُضطَرِبُ الفُصول ، وطبيعةٌ تَختلِفُ وتحول ، كما تَلوَّنُ في أثوابِها الغُول[3]

تلكَ اللجَّة — أيها الناشئ — هي من أوطانِكَ عُنوان الكتاب ، ومِصْراعُ الباب ، ووجهُ الخَميلة ، وظاهِرُ المدينة ، وعَوْرةُ الحصن ، وإن قوماً لهم على البحرِ مُلْك ، وليس لهم فيه فُلْك ، لقومٌ دُولتُهم واهية السِّلْك ، وسُلطانهم وإن طال المدَى إلى هُلْك !

ويأيُّها الأبيضُ الأغرُّ سلام ، وإن أنزلتنا عن صهوتِكَ الأيام ، وأبدَلتنا من سلطانك الخافق الأعلام ، بمالكَ من كلام ، ودُوَلٍ من أمانيّ وأحلام ! ويا عَرْشَ الأبوَّة ثناء ، وإن ثلَّك الأبناء ، ثم لم يُحسِنوا البناء ، أين دُوَلٌ كانتْ مطالعَ أنوارك ، ومعاصمَ سُوارك ، وما الذى نأى بجَواريها[4] عن جوارك ، وهوى بسواريها[5]

---

(١) الاصل (٢) أي ممطر (٣) تلون أصلها تتلون ثم حذفت التاء للتخفيف والغول من يتلون الواناً مختلفة من الجن والسحرة (٤) الجوارى السفن (٥) السواري عمد ينصب عليها الشراع

فى أغوارك ؟ أين الفراعنة وما جدّفوا من بُروجٍ مشيّدة [١] ، والبطالسة وما مدّوا من شرُعٍ كالصُّروحِ الممرّدة [٢] ؟ وأين الشّوْنات الأيُّوبيّة [٣] ، والبوارج العَلَويّة [٤] ؟ هيْهات ! أزْرى الدّهر بالإسكندريّة ، فحجبَ ذلك المنارَ [٥] ، ونصبَ هذا الفنار : وأين الليلُ والنهار ، وأين الظلماتُ من الأنوار ؟ ذلك كان أضوأَ هالة [٦] ، وأسطعَ على التمكُّنِ فى الأرضِ دلالة ، وأضفَى على مناكب البرِّ والبحرِ جلالة ، يهتدى به الداخِلُ والخارج ، ويستأمِنُ الدابُّ في حِماهُ والدارج ، وتنيفُ [٧] عليه البُروجُ وتطيفُ به البوارج ؛ وهذا [٨] سراجُ بيْت ، وذبالة زيْت ، وشعاعٌ كنفَسِ المحتضَرِ حيٌّ ميْت !

مُلْكنا الواسِعُ من ورائه بابٌ ولا بوّاب ، وسُدّةٌ ولا حجاب ؛ غابٌ ولا ناب [٩] ، ووكْرٌ ولا عقاب ! تعاقبت عليهِ حُكومات

---

(١) البروج المشيدة هنا يراد بها السفن الضخمة والتجديف تسيير السفن بالمجداف (٢) الشرع القلوع وتمريد البناء تمليسه وتسويته (٣) الشو نات هى سفن الحرب وقد كان لبنى أيوب منها اسطول عظيم (٤) التى انشأها محمد علي باشا جد الاسرة المالكة (٥) المنار الذى اقامه البطالسة فى الاسكندرية فكان سراجها الوهاج (٦) هالة القمر دارته والاشارة هنا للمنار (٧) تشرف (٨) الاشارة للفنار الموجود الآن (٩) الناب يطلق على الاسد من تسمية الكل باسم جزئه

ألقت السِّلاح، وألغت الإصلاح، تقول فتَجِدُّ وتعملُ فتهزِل، ولا تحسنُ من سياسةَ الملكِ غيرَ أن تولَى وتعزِل، وتَجبي القطنَ ولا تفكِّرُ في المغْزِل؛ تخايلُ بالبحْريَّة والوزير، وتأتى قبلَ الماء بالزير!!

صفة الظبي

عروس البيد ، الفاتن كالغيد ، بالمقلة والجيد ، الفروقة الرعديد[1]
وصفته فقلت : عينان سوادهما داج ، وبياضهما عاج ، وإنسانهما حائر
ساج ،في رأس كأنه قدم الكعاب ، أو كأنه خزفي من الاكواب ،
ركب في عنق كابريق الشراب ، وله روقان ، كأنهما نصلان صدئان ،
وكأن ابرتيهما مِرْود[2] انتشر عليه الأثمد[3] وكأن قوائمه السمر الخفاف
وكأن زجاج أرماحها الاظلاف . كل ذلك فى إهاب اغبر اللون كدر ،
كأنه الثوب السوي المنقدر ، ليس بفضفاض ولا بالمنحسر ، واذا عدا
فسهم ، واذا أخذه المدى فوهم ، وثبات تنتظم الربوة والحفرة ، وتثبت
وجود الطفرة ، واذا قام على ظلفيه ، وأرهف للرياح[4] حرتيه ، وشرع فى
السماء روقيه خلته دمية محراب ، أو شجيرة عليها تراب

---

(١) الفروقة الرعديد : الشديد الفزع الجبان

(٢) المرود الميل : الذي يكتحل به

(٣) مسحوق الكحل

(٤) أى أذنيه

صفة الأسد

طاغية الصحراء ، وجبار العراء ، وأجرأ من وطىء الغبراء ، عرشه غابته ، وحجابه مهابته ، والوحدة مجلسه وصحابته ؛ ابن الصحراء البكر نحتت أجلاده من صخرها ، واستوقدت بأسه من جرها ، وطبعته على انقباضها وكبرها ، وكأن[1] الصور حنجرته ، وكأن نفخة الصور زمجرته ، اذا سمعت خفتت[2] العقائر[3] ولاذت الهوام بالحفائر ، وطار الواقع ووقع الطائر . وصفته فقلت : هامة من أضخم القمم[4] جلست على المنكب العمم[5] ولبست تاج الشهرة فى الامم . وراء الهامة غفرة[6] كأنها اللامة[7] هي اللبدة وهي عمامة أسامه[8] دارت على وجه كوجه الموت بادى الشرة ، منقبض الاسرة ؛ ذي جبهة مغبرة ؛ كجبهة القتال مكفهرة ؛ وكأنها صفحة السيف ؛ تلق الحتف دون الحيف . في الجبهة عينان كاللهب ، في حجاجين[9] كالحطب ؛ بينهما أنف غليظ القصبة منتشر الارنبة ؛ كأنه الافعوان افترش الحجر ؛ أو اضطجع في

---

(١) الصور : القرن الذي ينفخ فيه يوم البعث (٢) خفتت : سكتت
(٣) العقائر : الاصوات (٤) القمم : واحدها قمة وهي أعلى الرأس
(٥) العمم : التام الهيئة (٦) غفرة : اللبدة
(٧) اللامة : الدرع (٨) أسامة : علم جنس على الاسد
(٩) الحجاجين : عظما الحاجبين

هشيم الشجر . حول الانف كلحة[1] كأنها خزانة أسلحة ، اذا انطبقت فعلى كوامن النيوب ، واذا انفتحت فعن القضاء بارز النيوب . ومن عجب الخلق رأس كأنه صخرة ، أوكأنه أرومة يابسة نخرة ، ينهض به ساعد جدل[2] لا هزيل ولا عبل ، كما تنهض اسطوانة الحديد على قلتها بالكثير الضخم من البناء . وللاسد كف كأنها المدجج[3] أو كأنها الحجر المدمج « اذا مست قفار الفرس قطعت نظمه وتثرت لحمه وعظمه »[4] كل ذلك في إهاب أغبر ، وجلباب أكدر ، كأنما صنعا من القفر أو قطعا من الصخر ، أوكأنما كسيا لون الصحراء كما تكسى البوارج لون البحر ، واذا قام على برثنه[5] فتمثال ، وادا انقض فهضب منهال . واذا تراءى بالسهل فدعامة ، واذا طلع من الحزن فغمامة

---

(١) الكلحة : الفم وما حواليه (٢) الجدل : الحسن الفتل
(٣) المدجج : القمد (٤) هذه الجملة عن (لاروس) الكبير
(٥) البرثن : المخلب

الأسد في حديقة الحيوانات

يا جارَ الجيزة وأسير الحديقة . سرَت الهمومُ فلم تَنَمْ . أرَّقتني شؤونٌ وشجون ، وذكرياتٌ مما تركتْ السنون ، وأرّقكَ حزُّ القيد ، وضغطُ الحديد . وأثارك ذكرى الصيّد والحنين للبيد ، سبحان المعزّ بالحرية المذلّ بالرّقّ ، ما أرّقك بالأسحار ، وكان غطيطُكَ أرَقَ الصحَار [1] وفرَقَ [2] السُّمَّار [3] في الاكوار ، وما بالُ زئيرك ينامُ عليه الطيرُ ملء جفونهِ ، ولا يتحرّك له ليلُ الجيزة من سكونهِ ، أصبح أقلّ من النُّباح وأذلّ من النّياح ، وكان بالامس يُرْعِدُ البطاح . ويُسقِطُ من يد البطل السلاح . وأين أبا لِبْدَة طلعةٌ كانت تعقِل الفرس والفارس ، فأصبحَت يدعو العيون اليها الحارس . يُطيفُ بها النَشَأُ [4] ولا تُخيف الرشأ . عزاءٌ ملك البيد ، ابن الفاتك الصِّنْديد . وأبا الخالة [5] الصيِّد . وإن لم تَزِدني علماً بالدُّولة كيف تزول . ولا بما عند الناس للنعمة المنكوبة ، والبطولة المقهورة ، والاخلاق المخذولة ، والعروش المثلولة . فقبْلك ضاقتْ (أغمات) على سجينها . وأخنتْ (أميرجُون) [6]

---

(١) الصحار : واحدها صحراء (٢) الفرق : الخوف
(٣) السمار : أي المتسامرين في الرحال (٤) النشأ : الاحداث (٥) الخالة المتخايلون من ا.ا.لاء (٦) امير جون : قصر الخديو اسماعيل فى منفاه بالاستانة

على قطينها[١] وأضرّت (القدّيسة هيلانة) برهينها[٢] أجوادٌ نزل بهم الدهر ، وأحرارٌ أناخ عليهم الأَسر ، وأملاكٌ[٣] جرى عليهم النهي والامر . وأنت فى صحَارك أطولُ فى الملك بنيانا ، وأعرض فى الارض سلطانا ، وأوسع شهرة وأنبه مكانا . عرشك أبا الاشبال ، على السهل والجبال ، وكل دابٍ[٤] على الرمال ، رعية لك أو مال . تمثال القوة ، ومثال المروّة . نفسٌ بهيمة ، وأخلاق عظيمة . ألست أبا لبدَة تحمي العرينة ، وتحسن عشرة القرينة ، وتبني الذُّرِّيَّةَ المتينة . وتعفُّ عند الشبع ، وتفضلُ على التبع . وتذهب مذهبَ الاقمار ، فتطلع بالليل وتستترُ بالنهار ، ولك قبل البطش جلجَلَة[٥] منذرة ، وبهنسةٌ[٦] محذِّرَة ، وغيرك فى السباع ختَلَ[٧] وختَر ، وجاء القرن[٨] على خمر[٩] من أجل هذا ومثله فى الاخلاق ضربت الامم بك الامثال ، ونحتوا على صورتك التمثال ، واستعاروا أسماءك للأبطال وأشباه الابطال . حتى قيل للاخشيدي[١٠] أسد القلب ، وقيل للصليبيّ[١١] قلب الأسد ، شبّه بك كل شجاع ولم تشبّه من الشجعان بأحد ، عَطف بقلبي على صغارك أبا الاشبال ، أنهم كصغارى ولدوا فى الرقّ وشبوا على مسّ

---

(١) القطين : القاطن (٢) رهينها : يعنى به نابليون (٣) الاملاك : جمع ملك (٤) داب : ساع (٥) الجلجلة : الزئير (٦) البهنسة : التبختر
(٧) ختل وختر : أي غدر (٨) القرن : الخصم (٩) على خمر : على غفلة
(١٠) الاخشيدي : هو كافور وقوله أسد القلب هو من قول المتنبي : أسد القلب آدمى الرواء (١١) الصليبي : هو ريشار ملك انكلترا الملقب بقلب الاسد

هوانه ، كلا النشأين مغلوب على دياره ، مرزوء بالشريك في وجاره [١] .
مغامرٌ فى صحراء الحياة بغير أظفاره . وألان لك فؤادي أبا لبدة هـذا
الذلُّ بعد العز . وهـذا الرسف [٢] فى الضيق بعد المرح في السعة .
واستأواني قيدُ الحديد ، بعد تاج البيـد . وما أسفى والله على ظفرك
المقلوم ، ولا على نابك المحطوم ، فاني وجدتُ البغيَ ليس يدوم . ولستُ
أنكرُ عليك شدة لم ينكرها الناس على الحضارة وهم يرونْ ظُفْرَها
يقطر من دم الجبل [٣] ويَرَوْنَ نابها يقطر من دم [٤] الريف . وإنما
أسَفي أبا الأَشبال على تلك الشخصية المتظاهرة ، وتلك الروحية القاهرة
وعلى حضْرَة كأنها مجلس الحكم ، ونظْرَة كأنها الامر النـافذ ، وعلى
صيحةٍ تأتيكَ بالصَّيْد مشكولاً ، متهيأً من نفسه مأكولاً . أدوات
زعامة ، وآلات سيادة ، مما يهب الله لأفراد البشر أحيانا ، ويلقى على
آحاد الرجال آنا فآنا ، فاذا هم القامة والسادة ، وإذا الأُمم تأتيهم منقادة .
وقد زادك الله عليهم رعيةً سُلبَتْ منها العقول ، فاسترحت من الرأى
وصراحته ، والفكر وشجاعته ، والمبدأ وصلابته . وكفيتَ سيوفاً بيْنا
هى لك ، اذا هي عليك ، وأقلاماً مأجورُها أسيرك ، وطليقها أنت
أسيره . أعلمت أبا الأَشبال الى أيِّ الآجام نقلت ، وفي أى الآطام
اعتقلت ، أسمعت عن أسد نجم [٥] فى هذا الأجم ، وضرغامة غاب ،

(١) الوجار : جحر السبع والمراد به هنا الوطن (٢) الرسف : مشي المقيد
(٣) الجبل : هو جبل الدروز (٤) الريف : هو وطن عبد الكريم وقومه
(٥) نجم : ظهر والمراد بالاسد هنا الخديو اسماعيل

عن هذا الغاب ، أذلت الحوادث بالامس عرنينه ، واحتلت الخطوب عرينه . وعطّلت نكبته الدنيا من زينة ، وغادرتها بعد فرح حزينة . وكان أكثر من آبائك أسماء ، وأطول من عشيرتك فى العز سماء ، وأمنع وادياً وأعز ماء ، منعكم القرار بالصحراء صهيله [١] وخلف زئيركم عليها صليله [٢] وغلبكم على أطرافها فكل ماء بها ماؤه ، وكل يبس غيله . وكانت هذه الحرجات [٣] تحته أجمة الأغلب المصور ، وكانت نظماً من قصور ، لم تر أمثاله العصور . فلا (الجعفرى) [٤] حكاه ولا (الزهراء) [٥] أعطيت حلاه ، ولا الايوان ساواه ، في شرفه وعلاه وكانت هذه الجنات وشي دوره ، وحلي قصوره ، وكانت هذه العيون محاجر العين من حوره ، ومعاصم ريمه ويعفوره [٦] وكانت هذه الساحة سماء الندى وأرض السماحة جنات وقصور ، ونعيم وحبور ، وعين حور يطأن المسك والكافور ، مرمر راع مسنونه بلقيس [٧] الزمان .

فكشفت عن ساقيها بين يدى سليمان

---

(١) صهيله : أي صهيل خيله (٢) صليله : أي صليل سيوفه (٣) الحرجات الخمائل (٤) الجعفري : قصر المتوكل (٥) الزهراء : قصر الخليفة الاموي بالاندلس (٦) اليعفور : الظبي (٧) يشير ببلقيس : الى الامبراطورة اوجيني نزيلة هذه القصور بالامس

الجمال

جَمَعتِ الطبيعة عبقريتَها فكانت الجمال ، وكان أحسنَه وأشرفَه ما حلَّ في الهيكل الآدميّ ، وجاور العقلَ الشريفَ والنفسَ اللطيفةَ والحياةَ الشاعرة . فالجمالُ البشريُّ سيدُ الجمال كلّه . . . لا المِثالُ البارعُ استطاع أن يخلعَه على الدُّمى الحِسان ، ولا للنيِّرات الزُّهْر في ليالى الصحراء ما له من لمحةٍ وبهاء ، ولا لبديع الزَّهر وغريبه في شباب الربيع ما له من بشاشةٍ وطيب . وليسَ الجمال بلمحة العيون ، ولا ببريق الثغور ، ولا هَيَفِ القدود ، ولا أسالة الخدود ، ولا لؤلؤ الثنايا وراء عقيق الشفاه ، ولكن شعاعٌ عُلْويٌّ يبسُطُه الجميلُ البديعُ على بعض الهياكل البشرية يكسوها روعةً ويجعلها سحراً وفتنةً للناس

الأمومة

الأمومة هي رسالةُ المرأة على هذه الارض وشأنها الاول في الحياة ، وهي حجرُ الاساس في الأسرة ، وقواعدُ المجتمع وأركانه منذ قام الى يوم ينفض . وفي الأمومة اجتمعت خلالُ البِرّ ونوائبُ الحق وتبعاتُ الواجب ، وصورُ البطولةُ وفضائل الإيثار ، ومواطن الصبر الجميل . وكأن الأمومة في البيت الملكة في الخلية أو العذراء في البيعة فيا أيتها الفتاة المُدِلة بصباها المزهوة بحسنها المترقبة من وراثهما لذة الحبَ وفيض السعادة اذكرى ان الجمال حرٌ طليق إلا من قيدين كلاهما أجمل منه : الشرف والعفاف ، اذا انسلّ منهما عَثُرَ في خطاه الاولى وذوى في إبان النضرة ، وسَلي ذواتِ الشعر الابيض ممن حولكِ من غواني أمس : هل دولة الحسن إلا كدولة الزّهَرْ ، وهل عُمر الصِّبا إلا أصيل أو سَحَرْ ، وهل غيرَ الأمومةِ تاجٌ للمرأةِ تلبسه من مختلف الشعر ألوانا

جمالُ الأمومة لمحةٌ من جمالِ الحياة ، وشعاعٌ من عبقريتها وهوَ أحفلُ أياماً وأطولُ مقاماً وأصدق أحلاماً

حبُّ الأمومةِ أشهرٌ وسنونٌ ، وبناتٌ وبنون ، وأشغال وشئون ويبقى مع الثُكل ، ويتقد عند حشرجة الصدر ولا ينطفئ إلا بانطفاء القلب

لذة الأمومةِ معنى قدسيٌ وسرٌ خفيٌ وحالٌ كنَاعم الخلد ولذاته ليسَ منا إلا من قرأه في تلكَ العيون التى رَعَتنا في المهود صغاراً ، وسهِرَتْ علينا في فراش المرض كباراً

الكاتب العمومى

تمثالٌ من الجهل العام صنعتهُ القرونُ والأجيال ، حَفَّاره عبث الحاكم وطِينَته غفلة المحكوم ، وهوَ الأمية على قارعة الطريق لا يجمعه والحضارة مكان

الحياة وهم ولعب

الحياة توهمٌ ، عِشنا بالوهم الزمنَ الرغد ، وعِشنا بالوهم الزمن النكد ، طافَ بنا الوهم على السعادة أحياناً ، ومرَّ بنا على الشقاء آناً فآناً ، وبالوهم عادَيْنَا وبالوهم والَيْنَا ، وبالوهم مرضنا وبالوهم تداوَيْنَا ، حتى إذا جاءت سكرةُ الموْت كانَ ذلك أول العهد بالحقيقةَ . والحياة لعب ، قضينا الطفولةَ باللعب ، وقَطعْنا الشَّبابَ مَلاَهيَ وملاعب ، ولعبنا في ظلّ المشيب ، حتى اذا جاءت سكرة الموْت كان ذلك أولَ العهدِ بالجدّ

العَلَم

شعارُ الأمم ونخارهم ، اتخذَ الناسُ في شبابِ الدولِ الأعلام ولا يزالون في ظل هذه الحضارة الكبرى يبلغُونَ في محبة العَلَم وإجلاله إلى التقديس ، فهوَ حيث يخطُر وحيث يخفق شبح الوطن المنظور ، وماضيه المنشور ، وتاجُ الرءوسِ كلها ، وقبلة الوجوه جميعاً ؛ اذا نُشرَ في السلم خلع على أيامها الجمال ، وكسا مواكبها المهابة والجلال ، وإذا رُفعَ في الحرب كانَ نظم الصفوف والفة القلوبِ ومثار الحماس وداعيَ التضحية ، وسحب النسيان على الاحقاد وحسم ما اشتهته الأعاد .

منديلٌ طالما رُفع على أيدي الآباء فكفكفوا به دمع الحزن ، وتلقّوا فيه دمع الفرح ، ضحكوا وراءه كثيراً فى نصيبين وقعدُوا حوله فى عرس ، وبكوا حوله كثيراً في التلّ الكبير وقاموا وراءه فى مأتم

فيا أيُّها العَلَم الأخضر كديباجة السِّلْم ، أو كظِلال الخِصب ، المستعير الهلال غرّة ، المفَصَّلُ بنجوم السعد ، الموسوم بالحضارَة مِن عهد خوفو ومنا ، المحلىّ بالفتح مِن زمَن ابن العاص ، النابه الأيام

والوقائع بين يدي ابراهيم ، لا زلتَ تُرْفع لِلمجْد ، ولا زالت الاجيال تتلقَّاك يميناً ، ولا نُشِرْتَ إلا فى حق ، ولا طُويت إلا على حق

ويا ابن مصرَ على قَدَم حيِّ العلَمَ !

السجع

السجعُ شعرُ العربية الثاني ، وقوافٍ مرنة ريِّضة خُصَّتْ بها الفُصحى ، يستريح اليها الشاعر المطبوع ، ويرسل فيها الكاتب المتفنن خياله ويسلو بها أحياناً عما فاته مِن القدرة على صياغة الشعر ، وكل موضع للشعر الرصين محل للسجع ، وكل قرار لموسيقاه قرار كذلك للسجع ، فانما يوضع السجعُ النابغ فيما يصلح مواضع للشعر الرصين، من حكمةٍ تخترع أو مَثَل يُضرَب أو وصفٍ يساقُ ، وربما وشّيَتْ به الطوالُ من رَسائل الادب الخالص ورُصِّعتْ به القصار من فقر البيان المحض ، وقد ظلم العربية رجالٌ قبَّحُوا السجع وعدُّوه عيباً فيها ، وخلطوا الجميل المتفرّد بالقبيح المرذول منه يوضع عنواناً لكتاب أو دلالة على باب أو حشواً في رسائل السياسة أو ثرثرة في المقالات العلمية ، فيا نشء العربية إن لغتكم لسريَّة مثرية ولن يضيرها عائب ينكرُ حلاوة الفواصل في الكتاب الكريم ، ولا سجع الحمام في الحديثِ الشريفِ ، ولا كل مأثور خالد من كلام السلف الصالح

النقد

فنٌّ قديم كريم وتالد من رأس مال الحضارة فى علوم الأدب وفنونه توارثه الأواخر عن الأوائل فأخذته حضاراتهم فحسَّنَتْهُ على عادتها وضَخَّمتْ كتابَهُ ووَسَّعتْ أبوابهُ وهذَّبت أصوله وَوَضعتْ قيوده ، حتى صار مِن دعائم الصحافة وأضحى ظل التأليف ومعرض العبقريات ومرآة آثارها في مسائل الادب وشتى مطالبه ، والنَّقدُ حارسُ الأدب ومكمّلُ الكتَّاب والكتب ، وهو آلةُ إنشاء وعُدَّة بناء ، وليسَ كما يزعمهُ الزاعمون معول هَدْم ولا أداة تحطيم

والناقد مُستهدفٌ يعرضُ عقله وبضاعته وخلقه وحكمه على الناس وربما ارتدَّ معوله اليه كما يرتد سلاح البغي إلى صاحبه فهدمه على المكان والناس يرون وهو لا يرى من سكرة الغرور ، ومَن نقد على غضَبٍ أسْخَطَ الحق ، ومن نقد على حقدٍ احترق وإن ظنَّ انه حَرَقَ ، ومَن نقَدَ على حسدٍ لم يخفَ بغيه على أحد ، ومَن نقَدَ على حبٍّ حابى وجمح به التَّشيُّع

الزهرة

صورةُ الرقةِ ورمزُ العاطفَة وهيكل الخير والحب والجمال . قديماً أُولع بها الناس وقديماً ظلموها . أما هى فطالما ملأت حدائقهم بهاءً وحسناً ، وحجراتهم زينـةً وطيباً . وجمَّلت عُرَى ثيابهم ، وحَسَّنَت أعراسهم وولائمهُم . فـكانت منصةً للعروسِ وإكليلاً ، وشارة للمائدة ومنديلاً ، وسفرَت بينَ العشَّاق فحَسُنَتْ رسالةً ورسولاً . . وأما هم فما أشد ما جَنوا عليها ! فطموها عن عصارة العُود ، وفجعوها فى وثير المهُود ، وأبْدَلوها مِن طول الفضاء وعرضه بالبواطي الضيقةِ ، ومن سماء الروض وأرضه بالجدران المزهقةِ ، ومِن ماءِ العيون بماءِ الجرار ، ومِن شعاع الفضاء الطلق بشعاع النافذة والـكوة . . . ظلم عبقرى ، وإحسان جُزِيَ بغيرِ إحسان

الساقية

أصَوْتُ السواقي في سماء الليلِ وعلى فضاء الريفِ أمْ تنغيمُ الملائكة في الأراغيلِ ؟ أمْ خُوَار الثَّوْر خَرَج مِن الأرض وقدْ أخذه الضجرُ وناء قرناهُ بذنوبِ البشرِ ؟

نَغَمٌ كالنفخ في الناب ، طبيعةٌ قادرةٌ ساحِرَةٌ لها في كل شيء موسيقى حتى في الليفِ والخشبِ ، فيا قينةَ الأجيال ما هذه الدمُوعْ الفواجر التي لم تغرفْ مِن شئون ولم تُرسلها محاجِر؟ وما هذه الضلوع الهاتفة بالشكْوَى ، الصارخة مِن البلوى ، وما عرفتْ الهوَى ، ولا باتت ليلة على الجوَى ؟ حدِّثينا عَن القرون الأولى ، قرُون خُوفُو ومنا . . .

الشيخ المرمم

أيها الشيخ المُهَنْدَمُ المُقَنْذَذُ : ما غرَّكَ بالسِّنِّ حتى لبستَ للصِّبا ثيابه ، ونازعتَ حفيدكَ شبابه . إنما مثلك في هذا البريق المزور ، وهذه النضارة المصطنعة ، كمثل الضرس المحْشُوّ المكسُوّ ، نزع منه العَصب ، وخلِعَ عليه الذهب

خواطر

مَنْ بغى بسلاح الحق بُغي عليه بسلاح الباطل

*

قُبِّح الدَّين نطق ففضح وسكت ففدح

*

يستريح النائم من قيود الحياة كما يتروّح السجين ساعةً في فناء السجن

*

ما نبَّه على الفضل الكاذب مثل الثناء الكاذب

*

نخوة الكلب من الراعي ومَنَعَة الديك من السطح

*

إذا بالغ الناس استعاروا للهرّ شوارب النمر

*

قضاء السماء بقضاء الارض اختلط ، وهذا معصوم وهذا عرضة للغلط

*

الفضائل حلائل والرذائل خلائل

هلكت أُمة تحيا بفرد وتموت بفرد

*

فى الغمر تستوي الاعماق

*

فراش المُتعب وَطيء، وطعام الجائع هنِيء

*

تغطي الشهرةُ على العيوب كالشمس غطّى نورُها على نارها

*

للرياسات أذناب فلا يكن ذنبك كذنبِ الطاووس فيذهب ببهائك كله لنفسه، ولا كذنبِ الفأر فينقطع عنك عند العسل، ولا كذنبِ النجم فيصبغك بنحسه

*

من عجزَ عفّ، ومن يئسَ كفّ، ومن جاع أسفّ

*

الأمم بنيان الهمم

*

الصالحون يبنون أنفسهم، والمصلحون يبنون الجماعات

*

المدرسة تُعلّم ولاتحلّم، والحياة تحلّم وتُعلم

*

المتحيز لا يُميّز

*

عاش العالم فمات، ونفق الجاهل كالسائمات

الخاصة أذوق لحكمة البيان ، والعامة أذوق لحكمة الالحان

*

المال عرضة للآفات فلا تتعجلّوها بالسرف

*

ولد البخيل مرحوم ، وولد المبذر محروم

*

الثقيل جبل اذا تلطَّفَ سقط

*

يد القاتل حمراء تنمُّ عليه في الدنيا وتشهد عليه في الآخرة

*

آس ثم انصح

*

ربما تقتضيك الشجاعة أن تجبن ساعة

*

الخير فيه ثوابه وإن أبطأ ، والشر فيه عقابه وقلما أخطأ

*

الخير تنفحك جوازيه ، والشر تلفحك نوازيه

*

عليك أن تلبس الناس على أخلاقها ، وليس عليك ترقيع أخلاقها

*

العتاب رفاء الودّ

*

لا سلطان على الذوق فيما يُحب ويكره

ذَنَبُ الطاووس رفع له رأساً ، وذنب النجم جر له نحساً

*

الغنيُّ مع الفقير فى كبد اذا منعه حسد واذا أعطاه حقد

*

النصح ثقيل فلا تجعله جدلا، ولا ترسله جبلا

*

الروح اللطيفة تستشف ، والنفس الشريفة تستشرف ، والضمير لنقيّ مرآة لو التمس فيها المرء وجه الغيب لرآه

*

رُبَّ قارض للاعراض ، وعرضه بين شقَّيْ المقراض

*

الحكمة قوام الخير الخاص ودعامة الخير العام

*

البصائر كالابصار اذا توجَّهت فى وجه ثم لم تتحول عنه رجعت حولى

*

أكثر الفضائل اصطلاح ، وجوهرها كلها الصلاح

*

الذليل بغير قيد متقيِّد ، كالكلب لو لم يسد بحث عن سيد

*

تحسُن المرأة نصف عليمة ، ويقبُح الرجل نصف جاهل

*

من أثرى أوساد ، فلا يعدنّ الحسّاد

*

ذا خدع الطبيبُ المريضَ أعان الدواء ، واذا خدع المريض الطبيب أعان الداء

*

العامة أذناب من يمسح رؤوسهم

*

يهدم الصدر الضيق ما يبنى العقل الواسع

*

العاقل من ذكر الموت ولم ينسَ الحياة

*

يستأذن الموت على العاقل ، ويدفع الباب على الغافل

*

قد يداويك من المرض اتقاؤه ولا ينجيك من الموت إلا لقاؤه

*

الغلط اذا أُدرك تبدّد ، واذا تُرك تعدّد

*

المسيح بكر الحكمة

*

على كتب السماء تَهَجّي الحكمة الحكماء

*

كل غائب يُسلى إلا غائب الثكلى

*

قلما طار اسم الشاعر فى حياته فوقع بعد مماته

اذا كثر الشعراء قلّ الشعر

*

أ كثر الشعراء هتافاً بشعره أقلهم راوية

*

الحقيقة ثقيلة فاستعيروا لحقائق العلم خفة البيان

*

ما راع البيض الرعابيب مثل رواعي المشيب

*

تحمل المليحة ثكل الجمال كما يحمل البخيل ثكل المال

*

الشباب أعراس الجمال ، والمشيب مآتمه

*

عند الكمال يبتديء الجمال

*

للجمال حين يزول جلالة الملك المعزول

*

العلماء أشباه إلا من زاد فى العلم حرفاً

*

السقي بعد الغرس ، والتربية قبل الدرس

*

اجتنب التفريط والافراط ، تستغن عن بقراط

*

بُغِّضَ الكبر الى النفس الكبيرة ، وحُبِّبت الصغائر الى النفس الصغيرة

يا أخا العزلة أنت لو طرتَ عن الناس ما وقعت الا عليهم

*

من استقام استدام

*

الكسل فالجُ النفس

*

الوقت مصارع لا يزال بك حتى يصيِّرك أجلاداً رثَّة، ولا يدعك إلا وأنتَ جثة

*

في شهوة النفسِ شِقوة الجسد

*

العادة شهوة لازمة قاهرة

*

تهرم القلوب كما تهرم الأبدان، إلا قلوب الشعراء والشجعان

*

الشعر فكر وأسلوب وخيال لعوب وروح موهوب

*

من ذهبَ يستقصي سرائرَ النفوس لم يرجع

*

رُبَّ استحياء تحته رياء

*

من عرف نفسه بعد جهل وجدها؛ ومن جهل نفسه بعد معرفةٍ فقدها

من ظن أنه يُرضى أبداً يوشك أن لا يرضي أحداً

*

من ذهب بنفسه فقدها ، ومن ذهب بولده ضيَّعه

*

السجون اذا امتلأت انفجرت

*

للنفسِ على كل ما عمِلت علل من هواها

*

ربما منعتك الحقوق الكلام وألجمتِ العهود فاك بلجام

*

البلشفية قيصرية ، لها جبروت الملك وسرفه ، وليسَ لها جلاله ولا شرفه

*

الوقت عدو مجتهد ، لا يدافعه إلا مجتهد

*

الولد ثقل إذا فسد ، ثكل إذا فقد

*

لو لم يرقص الدينار فى النار ، ما رقص على الأظفار

*

قَيد الحديد عَسِر ، وقيد الحرير لا ينكسر ، لعن الله القيد كله

*

لا يقع الملق إلا فى نفسٍ غرّير أو مغرُور

قادة الثورة مقودونَ بها كالجلاميد تقدَّمت السيل تحسبها تقوده وهي به مندفعة

*

الثورَة جنون طرَفاه عقل

*

من استقلَّ بنفسه استوحش ، ومن استقلَّ برأيه ضلَّ

*

خطة العاقل فى رأسه ، وخطة الجاهل في نفسه

*

عادة السوء شهد آخره علقم ، وورد فى أصوله أرقم

*

الحظ طير يقع غير مستأذن ، ويطير غير مؤذن

*

من أحبَّ المال تعب بجمعه ، ومن أحبه المال تعب بتبديده

*

أبى الله أن يتساوى عباده إلا فى النوم والموت

*

الأمية شلل الأمم ، الناس معها مُقعدون وإن خيّل اليك انهم يعدون

*

الرأى المسيَّر إن قعدت عنه تغيَّر

*

العامة تدع صاحبها عند باب التاريخ

الحق مَلِك وإن مُلِك عزيز وإن اهين ديّان وإن دين

*

صبر الحازم تجلُّد وصبر العاجز تبلُّد

*

القدم الى جاري المقدور ، أسرع من الماء الى الحدور

*

الماضي يُسلّ عليك يوماً

*

اخدع من شئت إلا التاريخ

*

ما مات الحق فى قوم وفيهم رجل حي

*

أصدقاء السياسة أعداؤه عند الرياسة

*

حيلُ العقول تجري في وجوه المنفعة ، وحيل النفوس في وجوه المضرّة

*

التاجر فى حانوته بين يدَي الرازق ، فلا يُنازع ولا ينازق

*

من لم يتحرّك جمد ، ومن جمد همد

*

محاسنُ وجه الدار الخميلة ، ومحاسن وجه البلد الفنون الجميلة

*

خُلقت المرأة تنبل بالجمال ، فان فاتها التمست ما ينبل به الرجال

عجبت من الصدر يسع الحادث الجليل، ويضيق بحديث الثقيل

*

الحكمة مصباح يهديك حتى في وضح الصباح

*

حُبِّبت إلى الشيوخ أحاديث الشباب حنينَ الرجل فى علّته إلى أيام صحته

*

خدع العقل الأمم ويخدع الهوى العقل

*

رُبَّ حسن سَمْت أتى الرجال من الصمت

*

حُبُّ القلوب يزول ، ويبقى حب العقول

*

مجد السياسة عُرضة للاحداث ، وقد ينهدم على أهله في الاجداث

*

إذا طال البنيان عن أسه انهدم من نفسه

*

سلطانُ الفضيلة أعزُّ من سلطان العشق ، سل عُذرة [1] عن العفاف كيف قتلها ، وسل الأديرة عمن دخلها

*

من فقد الضمير لم يجد مسَّ التحقير

---

(١) بنو عذرة قبيلة اشتهر بها الهوى العذري

ارحمْ نفسَكَ من الحقد فانه عَطَبٌ ، نارٌ وأنت الحَطَب

*

كل نار طاهرة مطهرة إلا نار الحقد

*

كاد صفح الوالد يسبق ذنب الولد

*

لو حطّمت السِّنُّ المرأة ما حطّمت مرآتها

*

انما المرء مروءته

*

لا رعد مع صحو ، ولا كوعيد العاجز لغو

*

القملّ فى لبدة الاسد وهو مطلق أعز من الأُسد وهو وراء الحديد

*

الحق المسلح أسَد عرينه ، والحق الاعزل أسد زينه

*

لا يُبحث عن القتلى والقتال دائر

*

الحق كبير فلا تصغروه بالصغائر

*

من حمل نوائب الحق حمل الامانة كلها

*

العالم في كل زمان بلد المال فيه أمير آخر الأبد

الاعمى من يرى بغير عينه ، والأصم من يسمع بغير أذنه

*

التواضع المتكلّف زهر مصطنع ، لا في العيون نَضِر ولا في الأنوف عَطِر

*

كل بنيان يهدم من رأسه ، وبنيان الاوهام يُهدَم من أسه

*

يؤذى العاقل المفتون ، كما يؤذى المجنون

*

الحكمة أن تحسن قولاً وفعلاً

*

زواج العشق ورد ساعة ، وزواج المال ورد صناعة ، والبركة فى زواج موفّق يكون لعمارة البلد ، وفي سبيل الولد

*

ثلاثة مسخّرون لثلاثة آخر الأبد : الفقير للغنيّ ، والضعيف للقوي ، والبليد للذكيّ

*

قلما رفعت رجلاً نفسه فوُضع ، وقلما وضعت رجلاً نفسه فرفع

*

من ساء خُلقه اجتمع عليه نكد الدنيا

*

ضيق الرزق من ضيق الخُلق

نَسْجَ القلوبِ من شهوات

*

دودُ الحرير أخرق ، هلك تاركاً الناس خير ما لبسوا فما تركوا له منه كفناً ، والنحل حكيم طعم من كل الثمرات ثم أَطعم

*

الشباب مُلاوة كلها حلاوة

*

لا أعلم لك منصفاً إلا عملك ، اذا أحسنته جمَّلك واذا أتقنته كمّلك

*

اذا رأيت ساعياً مجتهداً تمطُله الأَسباب ، وتطاوله الغايات فاعلم ان حظه قاعد

*

القويِ من قَوى على نفسه

*

العقول الكبار درر كبار ، لا تخلو واحدة من خدْش يظهره الخلق أو يُخفيه

*

جلائل الرغائب مخبوءة في كبار الهمم

*

يتقي الناس بعضهم بعضاً فى الصغائر ، ولا يتقون الله في الكبائر

*

من علم من نفسه الكرم ربأَ بها عن مواقف اللؤم

كفى بزوال الألم لذة ، وكفى بفطام اللذة ألماً

*

من لم يكن في عنان لذة أو تحت مهماز ألم ، فليس على ميدان الحياة

*

من عاش وعاشر أملّ محباً أو ملّ محبوباً

*

الجماعات مطايا أهل المطامع تبلّغهم الى منازل الشهرة

*

في الثورة لا يُقبلُ الرأى من أهل المشورة على أصالة رأْيهم وصدق نصيحتهم ولكن على أسمائهم فى الألسنة وموقعهم فى القلوب

*

الناس في الألم والموت سواء ، لم تسلم من الدمع جفون ولم يمتنع على الصديد مدفون

*

الفتيات نائمات فاذا تزوجن انتبهن ، والفتيان سُكارى فاذا تزوجوا صحوا

*

شبَحُ الفقر غادٍ رائح على اثنين : زوج المضيّعة وامرأة المقامر

*

بانى نفسه لا يُبالي ما هدم

*

رُبَّ باكٍ كضاحك المُزْن ، دمع ولا حزن

من قعد به المال لم يقم به شيء

*

ثورةُ النفوس تقطع الحبال ، وثورة العقول تقلع الجبال

*

المقعد خيرٌ من القاعد ، والكسيح خيرٌ من الكسلان

*

إذا صَدَقَتْ النية فكلٌ مذهبٍ جميل ، وكل رأى أصيل

*

عجِزَ المغتابُ أن يكون سبُعًا ، فرضي لنفسه أن يكون ضَبُعًا

*

رأى الجماعات بعضُه من بعض ، وكلُّه من الفرد كموج البحر بعضه من بعض وكلُّه من الريح

*

من رفع شِرَاع العِلم بلغَ ساحلَ الحياة وهو فى أول اللُجة

*

الجميلُ إلى الجميل يميل ، والحكمةُ تُحب الفنّ الجميل

*

مثلُ الشاعر لم يرزق الحكمة كالمغنى : صناعةٌ ولا صوت

*

العاقلُ يكلّمُ أناساً ببعض عقله ، وأناساً بعقله كله

*

ذكروا للبخلِ مائةَ عِلَّة ، لا أعرفُ منها غير الجبلَّة

الاعترافُ أوجهُ الشفعاء

*

اعترافُ الخاطئات استبسال ، وفرارٌ من الاسترسال ، فانتاشوهن بعفوكم من الهُوَّة ، وأحيطوا ضعفهَنَّ من حلمكم بقوة

*

الحكمة فى أفواه العلماء ، وعلى شِفاه الدهماء ، كالدرّ يكون فى قاع البحور ، ويكون فى نواعِم النحور ، وكشُعاع الشمسِ يقعُ على الوحل كما يقعُ على الزَّهَر

*

الموتُ أولُ المخاوف وآخرُها

*

من نقَضَ مَوْثِقه ، نفضَ عنه الثقة

*

إذا ذهبت الأُمم بقيت الرمم

*

إذا زاد تواضع الكبراء كان تلطفاً فى الكبر

*

لا يزال الشعر عاطلاً حتى تزيّنه الحكمة ، ولا تزال الحكمة شاردة حتى يُؤْويها بيت من الشعر

*

الوقف من حرص النفوس ويراد به المال لا البنون

*

بين الحلم والخَوَر جسرٌ أدق من الصراط

ثلاثة لثلاثة بالمرصادِ : الموت للحياة ، والشقاء للذكاء ، والحسد للفضل

*

خف اليائس فانه لا يخاف

*

كِبْرُ الصغير قبيح كتواضعه ، كلاهما في غير موضعه

*

حظ النفسِ من الحرص حظ المقاتل من السلاح ، اذا زاد عن حاجته تخبَّل ، وناء بما حمل ، واذا قصر عنها تقهقر وانخذل

*

اثنان فى النار دنيا وأخرى : الحاقد والحاسد

*

الدين السمح فى الرجل السمح ، والجنس الكريم فى الرجل الكريم ، فأحبب من ليس من دينك تحببْ دينك اليه ، وأكرم من ليس من جنسك يكرم جنسك عليه

*

آفة السمح أن يكون جدالا وأذاه أن يكون جهاراً

*

فى الدنيا مزيد من العقل للعاقل ، وتمادى فى الجهل للجاهل

*

ثنان معاديهما في خُسْرٍ : القوى المغلّبُ ، والرجل المحبب

*

شرف الكبراء كالورد فى إبان غضاضته ، إذا نزعت منه ورقة انحل وانتثر ، وانتقض جميعه على الأثر

*

تجمع اللغات على اختلافها الحكمةُ ، كما تجمع شتى المعازفِ النغمة

*

لا يكن تلطّفُك مُذالا ، ولا تحبُّبُكَ ابتذالاً فان الطُّفيْليين أعذب الناس كلاماً ، وأكثرهم ابتساماً

*

أساطين البيان أربعة : شاعر سار بيته ، ومصوِّر نطق زيته ، وموسيقى بكى وتره ، ومثال ضحك حجره

*

من الامهات تُبنى الأمم

الأمية فى العقلاء شكائم ، تتأسى بها البهائم

*

الشباب من الموت خطوة أو ما فوقها ، والمشيب من الموت خطوة أو ما دونها

الطير لا تقرب أفقاً فسد فضاؤه ، والحرية تهرب من بلد اختل قضاؤه

إذا ضغط على قاضى الأرض فى بلد ضغط عليه قاضى السماء

*

شُورَى من الحَجَّاج وزياد خير من الفَرْد ولو كان عُمر

*

خُذْ من مال الناس ما شِئْتَ فان وارثَكَ رادُّه اليهم

*

ليس العلمُ لك بِسِفر ، حتى يكون لك فيه سطرٌ ، وليس الادب لك كتاباً ، حتى تزيد فيه باباً

*

الانسان لولا العقلُ عجْماء ، ولو لا القلبُ صخرةٌ صماء

*

من وضَع نفسه قصر عن فضيلةِ التواضع

*

المرء كلِفٌ بما أَلِف

*

المغرورُ مَن يظن الناس لا يستغنون عنه ، والمخدوعُ مَن يظنُّ أحداً من الناس لا يستغني الناس عنه

*

من أخل بنفسه فى السرِّ أخلَّت به في العلانية

إذا رأيتَ المرأةَ لا تَدَعُ صَلاتَها فلا تَثق بهـا كلَّ الثقة ، وإذا رأيتَها لا تضعُ مرآتَها فلا تتهِمهَا كلَّ الاتهام

العاقل لا يثقُ حتى يُجرِّب ، ولا يتهمُ حتى يتبيَّن

*

ثقةُ العاطفة شهر ، وثقة العقل دهر

*

الثقةُ وَثاقُ الأحرار

*

الثقةُ مراتب ، فلا تَرفع لعُليا مراتبها إلا الشريكَ فى المُرِّ المعين على الضُّر ، الأمين على السر

*

من أحسنَ الثقة بنفسه ، فليثقْ بعدها بمن شاء

*

الوقتُ آلةُ الرزق اذا استُعمل ، وآفة الرزق إذا أهمل

*

يا عدوَّ الزواج : لو كنتَ العَزَبَ القُدْسيَّ عيسى بن مريم ما استطعتَ أنْ تقطعَ له نَظْما ، أو تُعطلَ له سُنَّة

*

ليس للدنيا بعَل مَنْ خطبها بلا عمل ، وصَحِبها بلا أمل

*

الحقُّ نبيٌّ قليل التَّبع ، والباطلُ مُشعوذٌ كثيرُ الشِّيَع

*

جئْني بالنَّمِرِ العاقل ، أجئْكَ بالمستبدِّ العادل

لو طلبَ إلى الناس أن يحذفوا اللغو وفضول القول من كلامهم لكاد السكوت فى مجالسهم يحل محل الكلام . ولو طلبَ اليهم أن ينقّوا مكاتبهم من تافه الكتب وعقيمها ، وألا يدخروا فيها إلا القيم العبقري من الأسفار ، لما بقى لهم من كل الف رف إلا رف .

فهرس